الإسلام يدعو إلى العلم

محمد منير شهوان

دراسات في الإسلام
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وزارة الأوقاف

الإسلام يدعو إلى العلم


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ . ٱلَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ ٱلْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

صدق الله العظيم

مقـــدمة

اعجب ما في هذا المخلوق البشرى ان اداة الهدى يمكن ان تكون بذاتها اداة الضلال ، واداة الخير يمكن ان تكون اداة للشر سواء .

ومن هنا ضلت البشرية بالعلم في هذا القرن العشرين بدل ان يقودها العلم الى الهدى واليقين . ولقد اتخذ العلم سلاحا لمحاربة العقيدة ومطاردتها في نفوس المؤمنين ..! واتخذت الحرب طريقين يلتقيان في النهاية .. يلتقيان عند الجاهلية الكبرى التى يصنعها الناس لأنفسهم وتباركها من ورائهم الشياطين

الطريق الأول : نظريات « علمية » تقول ان الدين نشـا من الضعف ومن الجهل اللذين سيطرا على طفولة البشرية فينبغى ان يترك اليوم مكانه للعلم .. وكفى ما كان من خرافة واساطير

والطريق الثانى : نظريات علمية كذلك تقول ان « الدولة » فى العالم الحديث تقوم بالتنظيمات الاقتصادية والاجتماعيـة علـى اسس علمية فلم يعد هناك مجال للتنظيمات التى كانت تقوم على الوجدان الدينى الذى قد يخطىء وقد يصيب وهو وجدان فردى على اى حال لا يصلح لتنظيم الجماعات الراقيـة فى عصر الذرة والصاروخ ..!!

ولقد قسم فرويد تاريخ البشرية الى ثلاث مراحل :

عصر الخرافة .. وعصر التدين .. وعصر العلم .. ثم حمد الله كثيرا او حمد الشيطان على اننا تخلصنا من المرحلتين الأوليين الى الأبد ودخلنا المرحلة الثالثة التى يظللنا فيها العلم وتتفتح لنا فيها اضواء المعرفة فتنير لنا الطريق .. وحمد الله مثله أو حمد الشيطان مئات الملايين من الاحياء اليوم على ظهر الأرض فى الغرب « المتحضر » والشرق « المتاخر » سواء وانطلقوا ينسلخون من الدين ويتفلتون من ذلك القيد الذى قيدتهم به جهالة الأزمان الغابرة ولم يعد يليق اليوم بكرامة العقل البشرى الجبار ان يظل مقيدا به وقد وصل الى اسرار المعرفة وحطم الذرة وأطلق طاقتها لتحدث الفناء المدمر الرهيب

ولكن لماذا كان العلم والدين على طرفى نقيض ..؟؟ ولماذا كان من المستحيل على الانسان ان يسير فى طريق يستظل فيه بالدين والعلم سواء ..؟؟ ولماذا قام فى الماضى ذلك الصراع الرهيب بين العلم والعقيدة قبل بزوغ الاسلام الحنيف .. ؟

واذا كان الاسلام هو الحلقة الأخيرة فى سلسلة العقائد الدينية فهل كان موقفه من العلم مشابها لموقف العقائد التى سبقته ..؟؟ وهل قامت بينه وبين العلم معارك عنيفة كان لا بد فيها من نتيجة حاسمة ..؟؟ او بمعنى آخر هل وجد الناس انفسهم فى وضع لا بد فيه من الخيار بين الاسلام وبين العلم ..؟؟

ان الاجابة على كل هذه الاسئلة ستكون ضمن موضوع البحث بيد انه لا بد أن نقرر من الآن انه لم يقم فى تاريخ الاسلام اى نوع من انواع الصراع مع العلم واذا كان لا بد من الانصاف فانه ينبغى أن نقرر الحقيقة التاريخية الخالدة التى لا سبيل الى انكارها الا بانكار كل الحقائق التاريخية برمتها ، وهى ان الاسلام والمسلمين قد قدموا للعلم الحديث والمعرفة الانسانية الجديدة

ما يمكن ان يكون مفخرة للاسلام ومفخرة للمسلمين بل ومفخرة للعلم ذاته على مر القرون والأزمان . هذه الحقيقة نذكرها الآن مجردة وسنعرض لتفصيلها وتبيان حقيقتها ومدى اتساعها فيما سيلى من بحث

ولكن اذا كان الأمر كذلك فما هو السبب الذى يجعل الكثير من المفكرين والعلماء فى العصر الحديث يضعون الاسلام فى قفص الاتهام ليجعلوه بمعزل عن حياة البشرية .. باسم العلم والمعرفة ..؟؟

والاجابة على هذا السؤال تعود بنا الى الوراء لتذكرنا بالصراع المرير بين العلم والكنيسة . ولتبين لنا أن الرواسب التى خلفها هذا الصراع قد تركت جرحا غائرا فى نفوس العلماء والمفكرين مما جعلهم ينبذون من بعده كل عقيدة أو دين . ولعل هذه العلة هى التى خلقت فى نفوس العلماء عقدة اسمها الدين لا تزال آثارها ماثلة الى هذه الايام

ولكن هل هذه فقط هى العلة الوحيدة فى حرب الاسلام ..؟ كلا ..!! فهناك علة اخرى تكمن فى النفوس وهى تتصل بامر العقيدة بوعى وبغير وعى . لأنها تثير كوامن النفوس من حقد وضغينة يكنها هؤلاء الناس للاسلام ، فبعد أن نجح العلم فى تنحية الكنيسة جانبا وعزلها عن عالم الحضارة والمدنية أصبح يعز على علماء الغرب أن يتعانق العلم مع دين آخر .. أى دين !! ولكى يستطيع هؤلاء الناس أن ينالوا من الاسلام كما نال اسلافهم من الكنيسة فى عصور الظلام ، اخذوا يحاربون كل دين ، ويتهجمون على كل عقيدة .. ووضعوا العلم فى كفة تقابله كافة الاديان فى الكفة الأخرى لكى يضيع الاسلام كما ضاعت الكنيسة فى لجة الصراع ..

ولقد نجح هؤلاء الضالون المضللون فى فرض خديعتهم تلك على الكثير من المسلمين الذين اقتنعوا بوجهة نظرهم ، حتى لقد ظهر من بين طبقة ((**المثقفين**)) من المسلمين من ينكر على الاسلام ما هو ادعاء عليه وافتراء . من جمود تجاه العلم وصد عنه وعجز عن مجاراة

المدنية الحديثة ووقوف فى وجهها وتخلف عن الحضارة الحديثة ومحاربتها . .!! بيد انه كان ينبغى على هؤلاء ((**المثقفين**)) ان ينظروا من اين جاءتهم هذه الشبهات ليكون موقفهم منها موقف المفكرين الأصلاء

والواقع ان هذه الكارثة التى أصابت المسلمين من انفسهم هى التى دفعتنى الى الكتابة فى هذا البحث مستعينا بالله على توضيح الصلات الوثيقة التى تربط العلم بالاسلام والتى لا يمكن أن تنفصم على مر الأيام ، ولكى اهيب بشبابنا المثقف أن يثوب الى رشده وينزع عن نفسه ثوب التقليد والمحاكاة ويرجع الى حظيرة الاسلام ليسير مع العلم الى الأمام فى ظل العقيدة الصالحة والمنهج القويم

الفصل الأول

العلم عند العرب قبل الإسلام

لما كان البحث يتعلق بدعوة الاسلام الى العلم كان لا بد أن نبدأ بالحديث عن العلم قبل الاسلام ، وعلى وجـــه الخصوص فى أرض العرب التى بدات فيها دعوة الدين الجديد .

وفى هذا المقام يجب ان نذكر مدى الاثر الذى تحدثه البيئـــة الطبيعية والحالة الاجتماعية التى تسود المجتمع والتى يعيش فيهـا ابناؤه . والبيئة التى كان يعيش فيها العرب بيئة صحراوية قاحلة، خالية من كل صورة من صور الحياة مما جعلها غير مطروقة الا من القوافل القليلة التى تمر مرورا عابرا . وكان لهذه الظروف الأثر الكبير فى قطع علاقة العرب بكل حضارة خارج بلادهم او بعيدة عن اقطارهم لقلة الاتصال وانعدام وسائل المواصلات السريعة بينهم . وحتى العرب الذين يعيشون فى هذه الصحراء لم تكن تربط بينهم اى علاقة او صلة ولو كانت علاقة الجوار لانهم لا يستقرون على حال ولا يثبتون فى مكان . فهم دائما يعيشون متنقلين من مرعى الى آخر لقضاء مآربهم وحوائجهم غير منطوين تحت لواء واحد ولا تجمعهم فكرة أو عقيدة ..

فى هذه البيئة لم يكن منطقيا ان ينتشر العلم وكل أسباب انتشار العلم مقطوعة عنهم لا يستطيعون أن يتخذوا اليها سبيلا بل ولا يسعون الى ذلك أبدا . ومما قيل فى وصف حالتهم تلك ما جاء فى

كتاب فجر الاسلام للمرحوم الاستاذ احمد امين : ((**قد تاخر العرب عمن حواهم فى الحضارة وغلبت عليهم البداوة وعاش اكثرهم عيشة قبائل رحل ، لا يقرون فى مكان ولا يتصاون بالارض التى يسكنونها اتصالا وثيقا كما يفعل الزراع بل هم يتربصـــــون مواسم الغيث فيخرجون بكل ما لهم من نساء وابل يتطلبون المرعى ، لا يبذلون جهدا عقليا فى تنظيم بيئتهم الطبيعية كما يفعل اهل الحضر ، انما يعتمدون على ما تفعل الأرض والسماء فان امطروا رعوا والا ارتقبوا القدر وليس هذا النوع من المعيشة بالذى يرقى قومه ويسلمهم الى الحضارة ، انما يسلم الى الحضارة عيشة القرار واستخدم العقل فى تنظيم شئون الحياة**)) .

وهكذا فانه لم يكن للعرب ذكر قبل الاسلام اذا تحدثنـــا عن العلم . فانه لم يكن لهم اى اثر فى العلوم ، ليس ذلك فحسب بل لم تكن عندهم اية بادرة او اشارة تلوح بامكان اتجاه عقولهـــم الساذجة الى الوجهة العلمية .

واذا كان هناك شيء يجمع العرب تحت لوائه ويظلهم بظله فان هذا الشيء ليس سوى الخرافات والأساطير والأباطيل التى لا تروج ولا تنتشر الا فى البيئات التى تعمقت فيها جذور الجهل وخيم عليها ظلام الضلال . وها هى كتب التاريخ تقص لنا من اساطيرهم عن ارض بالهند بها جبل فيه شجرة تحيى الموتى وفى راس هـــذا الجبل أمة من الناس تعيش منذ ستة آلاف سنة . ان مثل هذه الأسطورة لا تنطلى على الطفل الصغير فضلا عن الرجال الكبار من مشايخ العرب ..

ومن السخرية ان نتحدث عن الطب عند العرب فلم يكن وليد تجربة علمية ولا وليد تجربة طويلة او جماعية وانما جاء وليـــد التقليد الأعمى الذى لا يعمل فيه العقل عمله ولو حتى بمشاهدة نتائجه . ومما يذكر عن جهالتهم .. بل عن ضيق افقهم وانحصار تفكيرهم انهم كانوا يعالجون الجنون بتعليق عظام الموتى فى رقبـــة المريض ويجمعون الأقذار ليضعوها فوق ملابسه .

ترى .. هل كان ذلك وليد تجربة يمكن ان يكون فيها حتى ادعاء بالشفاء بعد هذا العلاج او يمكن ان يكون فيها حتى مجرد ادعاء بمتابعة المريض لملاحظة تطور حالته بتأثير هذا العلاج المضحك ..؟؟ .. كلا ..!! ليس شيئا من ذلك وانما هى قبيلة راوها تفعل ذلك ذات مرة ..!!

ولقد سقنا هذا المثال عن الطب عند العرب لكى يصلح قياسا لبقية العلوم وبقية العلوم لا بد ان تكون ادنى من الطب مرتبة لأن الطب بطبيعته يساعد فى الوصول احيانا الى بعض النتائج بغير جهد عقلى لعلاقته الوثيقة باحتياجات الناس فى اى بيئة كانت ...

وليس ادل على مبلغ جهلهم التام مما يرويه البلاذرى فى كتابه (فتوح البلدان) فيقول : « **ان الاسلام دخل وفى قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب هم : عمر بن الخطاب وعلى ابن ابى طالب وعثمان ابن عفان** .... »

ويعلق الاستاذ عبد الرازق نوفل بقوله : « ... **فاذا كانت قريش ... وهى التى كان لها الصدارة فى الحجاز ليس فيها الا سبعة عشر كاتبا .. فكيف بغيرها . ولندرة الكتاب واهمية الكتابة كان يلقب كل من يجيد الكتابة والرمى بالسهم بالكامل مثل سعد بن ابى عبادة** ..... »

فهل يمكن ان يكون لهؤلاء العرب بعد ذلك نهضة علمية ..؟؟ وهم الذين قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فى سورة التوبة عن فريق منهم : (**الأعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم**)

اذا كان هؤلاء هم الأعراب وهذا هو قول الله عز وجل فيهم فهل كان من الممكن ان تكون لهم حضارة ..؟ .. لا .. وهكذا يقول التاريخ ويشهد الواقع .. ولا تفوتنا الفرصة فى هذا المقام للتنويه

بعظمة الاسلام الذى جعل منهم ـ وياللعجب ! ـ روادعلم،وبناةنهضة ومؤسسى حضارة عالمية ستظل آثارها قائمة تتجدد بتجدد روح الاسلام فى نفوس ابنائها باذن الله » . وصدق الله العظيم حيث يقول : ((**وهو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين**)) .

الفصل الثانى
موقف الكنيسة من العلم

كانت المسيحية فى اوروبا ممثلة فى الكنيسة التى لم تكتف كما كان متوقعا حسب تعاليم المسيحية بالدعوة الروحية للانطلاق بالبشرية والتحليق بها فى عالم المثل الذى ترتسم صورته فى الأنبياء والقديسين . بل ادعت لنفسها سلطة الهية تقيد بها أرواح البشر وعقولهم بقيود من نار حتى لقد بلغت فى ذلك حد الدكتاتورية الطاغية عندما يصيبها هوس التنكيل والتعذيب .

وهكذا اصبحت الكنيسة مهبط الرحمة والتواد والتعاطف غولا بشعا يطارد الأفراد فى يقظتهم ومنامهم .. يفرض عليهم الاتاوات ويفرض عليهم الخضوع المذل لرجال الدين الذين زعموا لانفسهم قداسة ليست لبقية البشر . ويزيد على ذلك كله ان يفرض عليهم افكارا سماوية مقدسة لا يجوز الخروج عليها والا اعتبر من لم يعتنقها كافرا بالكنيسة وبالمسيحية ووجبت عليه لعنة الرب ولعنة البابا والدولة والناس أجمعين .

وكان من هذه الطائفة الأخيرة علماء قالوا بكروية الارض فعذبوا ونكل بهم ابشع تنكيل لأنهم يخالفون « **الحقائق المقدسة** » التى احتضنتها الكنيسة وقالت : انها كلمة السماء ..!! وباسم هذه الكلمة كانت الكنيسة تقوم بابشع الجرائم وهى آمنة من سلطان الحق بعيدة عن سوط العدالة .

ومن الأمثلة الصارخة على حالة العلم والعلماء فى ظل الكنيسة ما جاء فى رسالة ملتون عن حرية الصحافة « **فى وسعى أن اقص شيئا عما رايته وسمعته فى البلاد الأخرى حيث عسف محاكم التفتيش ، لقد جالست بعض العلماء هناك وكانوا يعتبروننى سعيدا لانى أعيش فى انجلترا ذلك البلد الذى يعدونه موطن الفلاسفة الأحرار بينما هم لا عمل لهم الا النواح على الحالة الذليلة التى وصل اليها العلم بينهم وهذا مما يثبط همة العلماء الايطاليين وادى الى عدم انتاج شىء فى هذه السنين الكثيرة غير الملق والمداهنة .. ولقد وجدت هناك جاليليو العظيم وزرته ورايته كهلا سجين محاكم التفتيش لانه يخالف فكريا ما يقوله رجال الكنيسة فى المسائل الفلكية** » .

ولم يكن ثمة شك حين يقوم الصراع على هذه الصورة بين

ومساخر الكنيسة مع العلماء لا تحصى ولا تعد فقد كان من نتائج جمودها العقلى التضحية باكثر من ثلاثمائة الف من اجلة العلماء فى سبعة قرون ونصف قرن اى من حوالى عام ١٠٨٠ حتى عام ١٨٢٠ من امثال دندولو وجاليليو وباتريزى وكامبانيلا وجيوودا نوبرينو وغيرهم .

ولم يكن ثمة شك حين يقوم الصراع على هذه الصورة بين الكنيسة وبين العلم التجريبى أن يؤمن الناس بما يثبته العلم ويكفروا بما تقوله الكنيسة وأن ينتهزوا هذه الفرصة السانحة فيقفوا فى وجه طغيان الكنيسة ودكتاتوريتها الفظيعة وقد امسكوا بأيديهم السلاح الذى يحطمون به اوهامها ويزلون به كيانها وينزعون قداستها من نفوس المؤمنين بها . وكان ذلك السلاح الجبار هو العلم .

وهكذا ركعت الكنيسة امام قهر العلم العقلى بعد ان ركع امامها بقوة الحديد والنار وفى ذلك يقول الاستاذ محمد قطب :

« ولعل اكبر زلزلة أصابت الكنيسة كانت على يد دارون حين نادى بنظريته فى أصل الأنواع وتتالت الضربات بعد ذلك على أيدى

العلماء والباحثين فترنحت هيبة الكنيسة واخذت تتهاوى . ولم يعد لها على اى حال ذلك السلطان الجائر الذى يفرض نفسه على الضمائر والعقول .

وهكذا كان تاريخ الكنيسة مع العلم ينضح بالصراع المرير بين عدوين لدودين استنفدت فيه ابشع وسائل التنكيل والتعذيب والسجن والتشريد .. **ولمن** ..؟؟ للنخبة الممتازة التى كانت تقود الناس فى طريق العلم بنور المعرفة والفكر والقوانين الطبيعية والتجربة العلمية » . **ترى** .. !! هل يحتاج موقف الكنيسة من العلم الى تعليق ..؟؟ واترك الجواب على هذا السؤال فانه بغير حاجة الى جواب ..

بيد انه لا بد من ذكر النتائج الخطيرة التى ترتبت على اضطهاد الكنيسة للعلم . فماذا بعد ان ركعت اخيرا أمام العلم ..؟!! ماذا بعد ان قام العلم فى وجه سلطان الكنيسة ليكشف عنه الستار ويمزق دونه القناع واخيرا ليتوج الكنيسة باكليل من العار ويحطم صرح الظلم والطغيان ويفك القيد عن الجموع الغفيرة المتعطشة الى الحرية والعلم سواء .؟!!

لقد كانت الكنيسة ممثلة للمسيحية . فعندما تقوضت اركان الكنيسة بمعاول العلم تقوضت معها دعائم الدين المسيحى . واذ كانت المسيحية هى ممثلة الأديان فى اوروبا فى ذلك الوقت فقد اقتلعت ايضا جذور الدين من قلوب الناس وتزلزلت العقيدة فى نفوسهم زلزالا عنيفا وتهاوت صروحها هنا وهناك فى غير تمهل او تؤدة . ولما كان سلطان الكنيسة وجبروتها قد امتدا عبر قرون طويلة من الزمان ذاق الناس فيها مرارة الكبت والحرمان فقد كان من الضرورى ان يكون لرد الفعل الخطير الذى احدثته الثورة العلمية اثرا عميقا يحتاج لقرون أخرى من الزمان حتى يأخذ مداه فى القلوب والنفوس والضمائر والعقول . وفى هذا الخضم ووسط هذه الثورة أصبح الدين .. كل دين مثارا للسخرية والتهكم والازدراء والتندر والاحتقار والاستهجان .

واذا كان هذا هو رد الفعل الطبيعى فى أوروبا المسيحية التى طحنتها مرارة الذل والهوان على يد الكنيسة هناك .

واذا كان الاسلام بعيدا كل البعد عن هذا الصراع . بل اذا كان الاسلام داعيا للعلم الحر الذى ينطلق فيه الانسان ليسبر كل غور ويبلغ منه كل عنان فلماذا اذا نشأت هذه الفرقة الوهمية والجفوة المصطنعة بينه وبين العلم ..؟!

لم تكن هذه الفرقة وتلك الجفوة الا من نتاج التقليد الأعمى الذى سار عليه الشرق « المتأخر » وهو يأخذ عن الغرب « المتحضر » . فقد بهر العلم الغربى عقول الشرقيين فراحوا بغير تعقل يحاولون تقليد الغرب فى كل شىء دون مراعاة للظروف والملابسات التى تختلف هنا عن هناك ..!! ولما كان الشرق يعانى من الركود الفكرى والاجتماعى فقد كان من الصعب عليه أن ينقل عن الغرب كل ما يحتاج الى جد وعمل أو جهد ومشقة فتحول الى النفايات التى تهبط بالهمة وتوهن العزم .

لقد ترك الشرق المسكين الشق العلمى وهو الوجه الجميل للحضارة الغربية الحديثة واخذ منها وجهها الكئيب متمثلا فى الفلسفة المادية الملحدة التى صاحبت انتصار العلم هناك لظروفهم الخاصة ..!! فما الذى حدث ..؟

لقد توجه الشرق الى الغرب مفتقرا الى العلم ولكنه يملك رصيدا من الدين والعقيدة يحفظان له ما تبقى من كيان ولكنه عاد بخفى حنين .. نعم عاد كما كان مفتقرا الى العلم .. ولكنه مستهلكا لرصيد الدين .. مفلسا من العقيدة خاوى الوفاض من كل مقومات النجاح .

على أن الوشائج المتينة والعلاقات القوية التى تربط الاسلام بالعلم أوثق رباط والتى كان يجب على الشرق أن يدركها أعمق ادراك لولا انه كان معصوب العينين مسلوب الارادة ستبين واضحة

جلية فيما سيلى من صفحات . والذى يهمنا الآن فى نهاية هـــذا الفصل ان نبين الحصيلة النهائية لصراع الكنيسة والعلم وهى باختصار ان فلسفة مادية بحتة قد أخذت مكانها على أنقـــاض الكنيسة والدين معا . فلسفة مادية غارقة فى طين الأرض وواقع الحواس ودنس الشهوات منقطعة تمام الانقطاع عن السماء مفتقدة لأسباب الصعود والارتقاء .. واننا لا نزال فى هذا العصر نعانى من هذه النكبة المروعة التى اصابت الانسانية فى صميم مقوماتها .

الفصل الثالث

القرآن يدعو للعلم

او لم تكن اول آية نزل بها الوحى الأمين امرا صريحا للنبى ان يقرا ... وهو الذى لا يقرا .. بل وتدعوه الى التعلم بالقلم .. **يا لله** .. فهل هناك تكريم للعلم والمعرفة اكثر من الدعـوة اليهما فى اول آية من آيات القرآن الكريم نزل بها الوحى على رسول الله النبى الأمين :

« اقرا باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرا وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

لقد كانت هذه الآيات بداية صريحة مدوية ونـداء صادحـا للانسـان بالنظر والتفكر والتدبر والتأمل والاستنباط والاستنتاج كما كانت فتحا جديدا ونصرا حافلا للعلم فى حمى الاسلام .

تامل كيف شفع الله الأمر بالقراءة بهذا البيان البليغ لفضـل القلم . انه علم الانسان ما لم يعلم ، واخرجه من ظلمة الجهل الى نور العلم، ومن حيرة الضلالة العمياء الى طمانينة الهداية المبصرة.

على ان احتفال القرآن بالقلم لم يقف عند هذا الحد . فقد شاء الله ان يسبغ عليه من أفضاله فاقسم حيث يقول: « **ن، والقلم وما يسطرون** . » وانزل طلب العلم منزلة الجهـاد فى سبيل الله فقال : « **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم »**

ولقد تكرر لفظ العلم ومشتقاته فى القرآن الكريم حوالى ٧٦٥ مرة وحث على النظر فيما يتعلم منه الانسان فى آيات كثيرة . وقد بلغ عدد الآيات العلمية الكونية فى القرآن الكريم ٧٥٠ آية تشتمل على مختلف العلوم . وقد نزل فى كل علم من العلوم على وجه التقريب اكثر من آية من آيات القرآن الكريم .

لقد كان يكفى القرآن أن يدعو الى العلم دعوة مجردة فحسب لكى يبدد الظلام الذى خيم على صلة الدين بالعلم ولكى يحدث التوازن المطلوب ليسير العلم جنبا الى جنب مع العقيدة الدينية، ولكن القرآن لم يكتف بتبديد الظلام وهتك الحجب والأستار وانما جاء نورا وهاجا وسراجا منيرا يهدى بالعلم كما يهدى بالعقيدة فكان ايجابيا الى اقصى الحدود ، فرأينا القرآن الذى أعجز العرب بالبلاغة والفصاحة يعجز العلماء بنور العلم والمعرفة حتى لقد باتت اعظم الكشوف العلمية الحديثة ولها منبت اصيل واضح فى آيات القرآن العلمية الكونية .

ولقد كان من اعجاز القرآن وسبقه الساحق فى شتى العلوم أن احتار المفسرون فى تفسير الكثير من آياته قرونا من الزمان . وكلما دارت عجلة الأيام وتكشفت للعلماء آفاق جديدة فى مباحث العلم تكشفت معها ايضا آفاق جديدة فى عالم التفسير ، وظهرت الآيات التى استعصت على المفسرين فى قديم الزمان فى غاية اليسر والسهولة والافصاح والايضاح ، فجمعت بين اعجاز اللفظ واعجاز المعنى فى آن .

وهكذا جاء القرآن ليرتفع بالعلم ويسمو به الى الآفاق العالية فى ظل عقيدة صالحة فكان أكبر نصر للعلم منذ فجر التاريخ فلا غرو اذن أن يكون كل نصر للعلم ايضا دليلا جديدا على اعجاز القرآن ...

وتقدم العلم وانتصاره امر عظيم ، ولكن اعظم من هذا وذاك ان يزود العلم بالعقيدة الصالحة والمذهب القويم . فما العلم الاوسيلة

من وسائل البشرية لبلوغ اهدافها وتحقيق آمالها . فلابد اذن من ان يحمل العلم كل المقومات التى تساعده على بلوغ الأهداف وتحقيق الآمال .

ولابد ان يحال بين العلم والانحراف حتى لا يقضى بوسائل التخريب والدمار على الحضارات الانسانية والتراث البشرى كما يحدث عندما تنحرف به عقيدة فاسدة أو يوجهه مبدأ منحرف .

ولهذا فقد اهتم القرآن اشد الاهتمام بان يسلك بالعلم طريقا مستقيما آمنا حتى لا يهدم اليوم ما بناه بالأمس .

ووسيلة القرآن لجعل العلم رسالة على هذا النحو هىتزويده بالعقيدة السليمة السوية التى تنأى به عن مهاوى الضلال ومشاعب الغواية والانحراف .

فالقرآن يابى على العلم ان ينصرف الى الشر ويعصمه من الانزلاق اليه بعقيدة تهدى الى الخير وتدعو له .

فالقرآن يابى على العلم ان يكون حكرا لفرد أوجماعة فيعصمه عن الجمود والاحتكار بعقيدة شاملة نزلت للناس أجمعين وتدعو اصحابها الى التعاون مع اخوانهم فى الانسانية على الخيروالتعاون.

والقرآن يابى على العلم بعد ان عصمه عن الشر الا أن يكون اداة فعالة فى سبيل الخير ، والا أن يكون ايجابيا ما استطاع فى نشر الفضيلة ودرء الرذيلة فيدفعه الي ذلك دفعا بالعقيدة التى لا تفتأ تدعو الى الخير ولا تنقطع لحظة عن الدعوة الى الفضيلة ولا تتوانى عن محاربة الرذيلة .

والقرآن بعد هذا وذاك ... بعد أن شق للعلم طريقا ممهدا وامنه من مهاوى الضلال ونوازع الزيغ والانحراف فتح امامه الآفاق الواسعة ليعمل فيها بكل حرية وانطلاق. ولكى يضمن تمام الحرية والانطلاق ازاح من أمام العلم إكبر عقبة معوقة تعترض

سبيل التقدم والرقى .. هذه القوة هى الغرور الذى يسقط بالانسان من القمم الشامخة الى المهاوى السحيقة فيقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : **« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »** فيفتح امامه مجال العلم الى غير نهاية ما دامت السموات والأرض .

والقرآن بعد ذلك يرتقى بهذه الآفاق الواسعة ويسمو بها لترتفع الى أعلى السماء وتحلق فى الأجواء الشفيفة التى تهذب النفس الانسانية وتنير امامها الطريق الى الله فيبدو واضحا جليا لا يحتاج الى كثير عناء للاهتداء اليه والسير فيه .

وسيلة القرآن الى ذلك هى جعل العلم من وسائل الاتصال بالله والاهتداء اليه وهى فى نفس الوقت تصريف للطاقة البشرية فيما ياتى بالخير العميم على الانسانية جمعاء .

والقرآن يوجه النظر والبصر ويلفت الانتباه الى اسرار الكون العظيمة ومظاهره المذهلة التى يمر عليها الانسان ، فلا يأبه بها بحكم الالف والعادة فيستنشط فيه طاقات الانسانية جمعاء ويدفعها دفعا شديدا فى معارج العلم والمعرفة . وهو اذ يدفعها دفعا شديدا انما يعتمد على الفطرة السليمة فى الاستجابة لهوعلى عنصر التشويق الذى يجذب الانسان فى رفق وجمال ، واقول فى رفق وجمال لأن هذا الدفعالشديد انما ينبع منالذاتالانسانية نفسها بعد ان يحركها القرآن بتوجيهه الحكيم ويستنهضها بالقول الكريم . ونستطيع الآن ان نقدم الدليل على ما نقول فى بضع آيات كريمة نذكرها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر وهى من الآيات التى تدعو الى النظر والتبصر والتعقل دعوة مباشرة صريحة .

« فلينظر الانسان مم خلق »

« الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا . والله انبتكم من الأرض نباتا. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا . والله جعل لكم الأرض بساطا. لتسلكوا منها سبلا فجاجا »

« او لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير » .

« وفى الأرض آيات للموقنين . وفى انفسكم ، افلا تبصرون »

« افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج »

« ان فى السماوات والأرض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فاحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فباى حديث بعد الله وآياته يؤمنون »

« الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

« الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير » .

« قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشىء النشاة الآخرة ، ان الله على كل شيء قدير »

« او لم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم . ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين »

« ألم تر الى ربك كيف مد الظل ، ولو شاء لجعله ساكنا ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلا »

« ألم تر ان الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الأرض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم »

« قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »

« افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت »

ويتضح لنا من هذه الآيات الكريمة وغيرها فى كتاب الله الكريم ان الله عز وجل لم يكتف بالدعوة الى العلم على الطريقة التى اصبح العلم معها رسالة فحسب ، بل قاد الانسان من يديه ووقف به على النوافذ التى يطل منها على اسرار الكون وصحبه الى اول الطريق الذى ينطلق فيه الى لا نهاية ..

لم يشأ الله سبحانه وتعالى أن يجهد الانسان بحثا عن أبواب المجهول ليوفر عليه الجهد والعناء فيحول الطاقة التى يبذلها فى الجهد والعناء بحثا عن أبواب المجهول الى البحث فى المجهول ذاته وسبر اغواره وكشف أسراره .

كلا ... لم يصحب الله عز وجل الانسان ليقف به على نوافذ الكون أو أبواب المجهول فحسب بل فتح له من هذه النوافذ والأبواب ما شاء أن يفتح وأطلعه على الكثير من أسرار الكون مما سيجىء تفصيل بعضه فيما سيلى من صفحات .

والآن قبل ان نترك هذا الفصل نستطيع ان نلخص منهج القرآن الكريم فى الدعوة الى العلم بالقدر الذى اتسع له ادراكنا القاصر وافقنا المحدود فنقول : ان القرآن الكريم لم يدع الى

العلم دعوة مجردة فحسب ، وقد كان يستطيع ذلك ليفى بفرض الرد على دعاة الهدم والفساد . ولكن القرآن يضع الأسس الصالحة ويوجه التوجيه السليم الكامل الذى يصلح لكل زمان وكل مكان بصرف النظر عما تلوكه السنة المضللين والمدلسين وهو يحوى فيما يحتوى عليه ما يصلح ان يكون ردا مقنعا وحجة دامغة لكل من تسول له نفسه ان يطعن الاسلام من امام او من خلف او ينتقص من قدره فى صغيرة او كبيرة .

لهذا فقد زاد القرآن عن الدعوة المجردة فيما يلى :

اولا : احتفل بالعلم عندما كانت أول آياته تدعو اليه وعندما انزل طلب العلم منزلة الجهاد فى سبيل الله .. وامثلة اخرى كثيرة ... الخ .

ثانيا : كرم العلماء انفسهم اعظم تكريم كما سيأتى فيما بعد فى فصل مستقل .

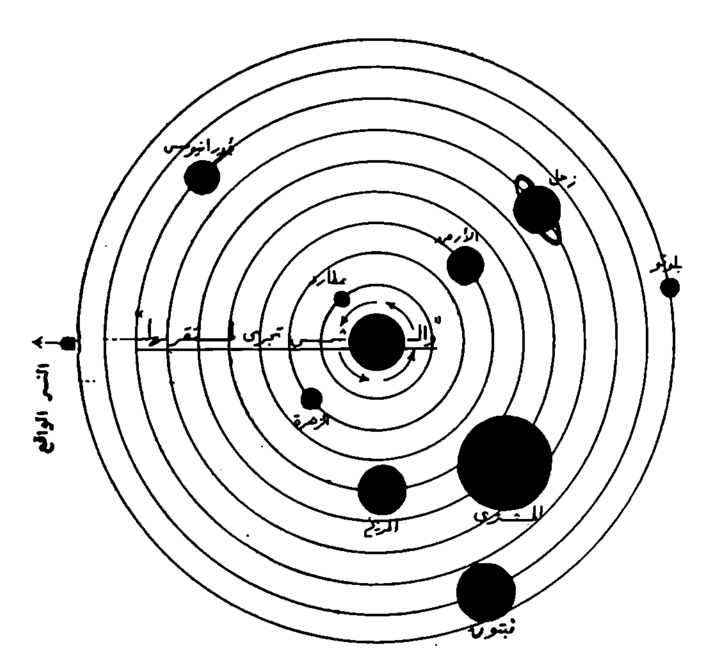
ثالثا : حفظ العلم عن الانحراف والزلل وجنبه مهاوى الزيغ والضلال وابعده عن التدمير والتخريب عندما رسم له طريقا يستظل فيه بعقيدة سليمة سوية .

رابعا : احتفظ للعلم بمزية التوثب الدائم والتطور المستمر والحيوية المتدفقة والنشاط الدائب عندما ازاح من امامه اكبر قوة معوقة وهى غرور الانسان كما ذكرنا من قبل .

خامسا : فتح القرآن آفاقا واسعة أمام بنى الانسان للبحث والتنقيب .

سادسا : ارتقى بهذه الآفاق وارتفع بها حتى جعلها طريقا وسبيلا ميسرا الى الله ، فجعل العلم اداة للاتصال الوثيق بين المخلوق والخالق .

وسابعا وليس اخيرا : قدم القرآن لنا بعض النماذج العلمية على هذا المستوى الرفيع على سبيل الأخذ بيد البشر .. الأخذ بيدهم فى معارج العلم والمعرفة .. والأخذ بيدهم فى معارج الهداية الى الله والاتصال به .



شكل (١) « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم »

الفصل الرابع

القرآن مرجع قديم

وأزلي للحقائق العلمية الحديثة

ذكرنا آنفا ان الآيات العلمية فى القرآن تبلغ ما يقــرب من السبعمائة والخمسين آية تشتمل على مختلف العلوم . ويمكن القول بأنه ما من علم من العلوم الا وقد اشار اليه القرآن وقال فيه ما يحقق له الاعجاز ويعلو به فوق طاقات البشر ، ولكى نبرز ذلك فى وضوح وجلاء سنتحدث عن كل علم على حدة كما جاء به القرآن الكريم .

١ ـ علم الفلك

Astronomy

« والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهـــار وكل فى فلك يسبحون » .

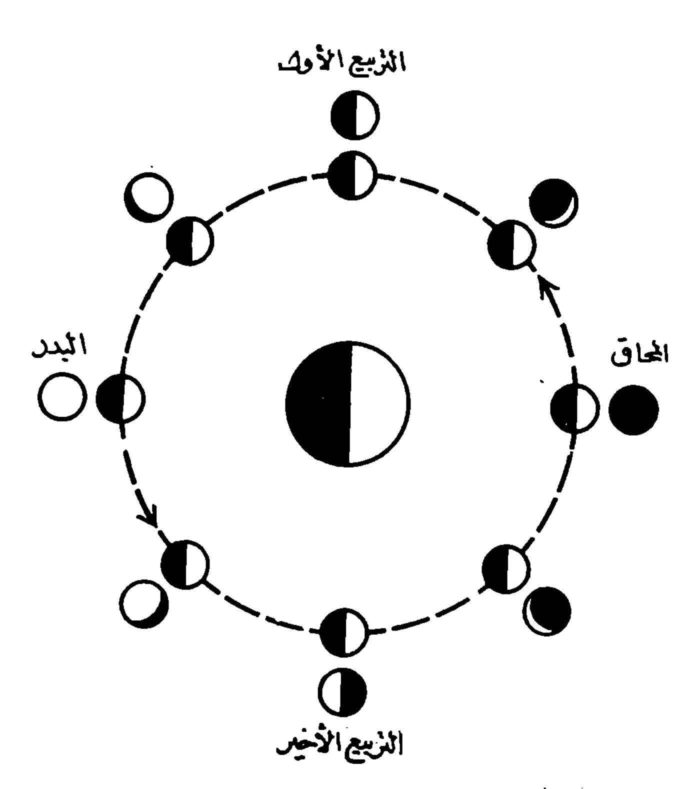
لقد كان العلم الى عهد قريب يتحسس طريقه بالافتراض بأن الشمس ثابتة فى مكانها بعد أن اقام الحجة على ان الأرض تدور حول نفسها محدثة عن حركتها هذه الليل والنهار . وان حركة الشمس من الشرق الى الغرب انما هى حركة ظاهرية . ولكنه لم يدرك وقتئذ أن للشمس حركة اخرى يعتبر اكتشافها من امهات حقائق العلم الحديث . ولننظر فى قول القرآن الكريم : **«والشمس تجرى لمستقر لها »** .

فاذا تعرضنا بالتحليل لكلمة « **لمستقر** » وجدنا اللام فى اللغة العربية لها ثلاثة عشر معنى من بينها انها تأتى بمعنى « **فى** » كما انها تاتى ايضا بمعنى انتهاء الغاية مثل قوله وصلت للبيت وعلى ضوء هذه المعانى يمكننا أن نستنتج من « **لمستقر لها** » حقيقتين فلكيتين عرفنا اياهما القرآن الكريم من قرون بعيدة واثبتهما العلم الحديث .

تاتى اولاهما اذا اعتبرنا اللام فى كلمة « **لمستقر** » بمعنى **«فى»** وبهذا يكون معنى الآية الكريمة ان الشمس تدور فى مستقر لها اى فى مكان مستقر لها وهذا ما يبينه العلم الحديث فهى تدور حول نفسها فى ستة وعشرين يوما .

وتأتى الثانية اذا اعتبرنا اللام بمعنى « **الى** » أو لانتهاء الغاية

وبهذا يكون معنى الآية الكريمة ان الشمس تجرى نحو مكان معين سوف تستقر عنده فى النهاية وهذه الحقيقة هى من الحقائق التى يعد اكتشافها من مفاخر العلم الحديث . وفى ذلك يقول الأستاذ سيمون العالم الفلكى : « **لو سئلت ما هى اعظم الحقائق التى اكتشفها العقل البشرى لقلت انها الحقيقة التالية : وهى أن الشمس والكواكب السيارة واقمارها تجرى فى الفضاء نحو برج النسر الواقع بسرعة غير معهودة لنا على الأرض** » .



شكل (٢) « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم »

وتحرك المجموعة الشمسية كلها هو ما عناه القرآن الكريم بقوله : « **وكل فى فلك يسبحون** » اى ان الشمس والقمر والأرض التى كنى عنها بالليل والنهار اللذين هما ملازمان لها يجرون فى فلك واحد ، وهذه هى الحقيقة التى أثبتها القرآن وظلت مطوية حتى اظهرها العلم الحديث وقد ذكر ذلك فى القرآن فى مواضع عدة .

« والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم »

معنى هذه الآية أن القمر غير ثابت فهو ينزل منازل مختلفة يتغير فيها مظهره فيظهر للناس بأوجه مختلفة حتى يصير بدرا ثم يتناقص ويعود فى النهاية هلالا كما بدأ هلالا .

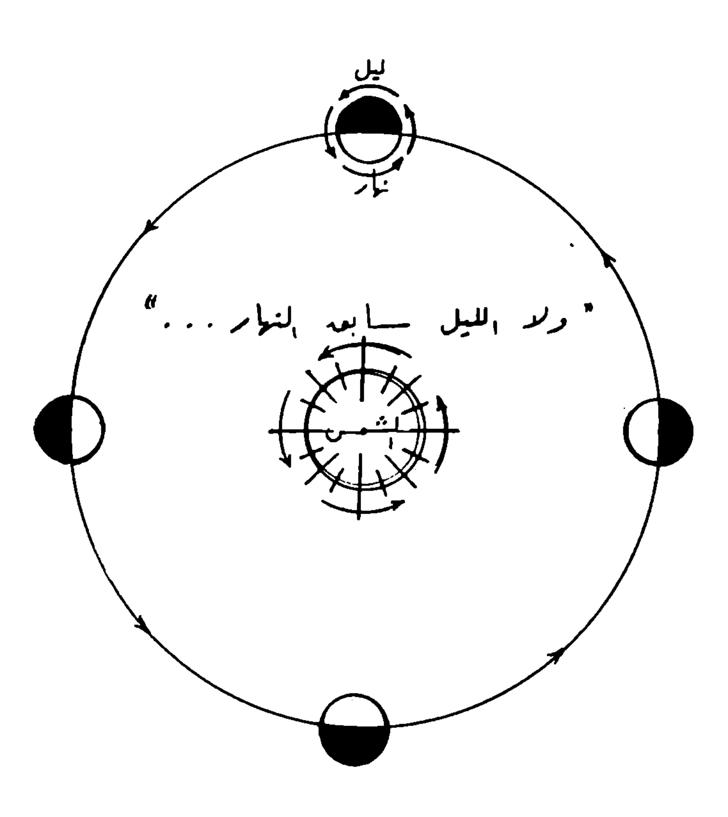
اى ان القرآن يعلل اوجه القمر بان سببها هو انتقال القمر فى امكنة مختلفة بالنسبة للأرض وهذا ما يطابق ما وصل اليه العلم الحديث أخيرا وهو أن سبب ظهور القمر بأوجه مختلفة هو دورانه حول الأرض .

« ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون »

وصدق الله العظيم ، ومن أصدق من الله قيلا . اذ ان الليل والنهار متلازمان يجريان كفرسى رهان فلا يسبق احدهما الآخر فهما موجودان معا على الأرض يقتسمانها قسمة عادلة والثابت الآن ان نصف الكرة الارضية يكون ليلا على حين ان نصفها الآخر يكون نهارا فى وقت واحد .

وفى ذلك ايضا دليل على كروية الأرض اذ لو كانت الأرض منبسطة لعمها ضوء الشمس دفعة واحدة ولصارت كلها نهارا أو لتوارى عنها ضوء الشمس دفعة واحدة ولصارت كلها ليلا .

« هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعقلون » .



شكل (٢) « ... ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون »

لقد اثبت علم الفلك ان القرآن هو اول كتاب فى العالم أشار الى اهمية النجوم البالغة كعلامات يهتدى بها السيارة فى البر والبحر وقد اصبحت دراسة النجوم والفلك من اهم ما تعنى به معاهد الملاحة ومن اهم ما يقوم به المشتغلون بشئون السفر والرحلات .

وهكذا يصل العلم اخيرا الى ما قرره القرآن قبله بقرون عديدة ويحنى هامته لهذا الكتاب الكريم وستظل هامة العلم تنحنى مرة بعد مرة حتى يوم الدين .

وما دمنا نتحدث عن النجوم فلابد ان نتحدث عن اعمق دراسة عرفها علم الفلك وهى دراسة مواقع النجوم . وما زال العلماء يجدون ويجتهدون فى هذه الدراسة ذات الأغوار العميقة التى يقفون امامها عاجزين لا يستطيعون ان يتابعوها ولو حتى بخيالهم وسرحات تفكيرهم ولهذا فهم يقدرون الاهمية العظيمة التى تنطوى عليها النتائج الحاسمة التى تؤدى اليها مثل هذه الدراسة ، وهذا هو العالم الفلكى جيمس جنز كبير العلماء «يقول ان دراسة مواقع النجوم ستمدنا بمفتاح لأجمل منظر راته او تراه عين الانسان ... وستمكننا من ان ننظر الى السماء العجيبة المترامية فنفهم من معانيها ما لم نكن نفهم ... وان مواقع النجوم لو أمكن رسمها تفصيلا تعطى تفسيرا لحقيقة الكون . ان تقديرنا لهذه المباحث واهميتها ليهدينا الى المقصد الحكيم والغاية البعيدة من الآية الكريمة التى تقول : « **فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم** » .

نعم انه لقسم لو تعلمون عظيم .. فان الوقت الذى يتمكن فيه العلماء من فحص النجوم وتحديد مواقعها ورسم خريطة لها سيكون يوما حاسما فى تاريخ البشرية ..

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

يقول عالم الفلك الشهير جيمس جنز فى كتابه عن الفلك :

« اذن لا مناص من ان يحدث ذلك للقمر الذى نراه فى القريب ويقترب من الأرض شيئا فشيئا حتى يصير فى النهاية قريبا منها قربا يحول بين القمر وبين السلامة . وعندئذ ينفذ فيه القضاء نفسه وينشق القمر الذى يتفتت ويتمزق فلا يكون للارض بعد ذلك قمرا » .

وهذه النظرية التى طلع بها جيمس اصبحت تلقى التعضيد والتأييد فى آراء وابحاث العلماء من بعده . فقد عرف ان قمرنا لايدور فىمداره الذى كانيدور فيه يوم تكونتمجموعتنا الشمسية .. وانما قد اقترب من الأرض وهو لا يزال يقترب اقترابا حثيثا

وباقتراب القمر من الأرض ستحدث علامات تدل على قرب منطقة الخطر يوم تحدث فى القمر زلازل عنيفة مدمرة تزدادعنفا كلما اقترب من الأرض وباشتداد هذه الزلازل سينتهى الأمر الى انشقاق القمر وعندئذ تتاثر جاذبية الأجرام الأخرى التى تمسكها جاذبية القمر .. ويكون ذلك ايذانا حتميا باختلال بقية الكواكب القريبة فتتهاوى على الأرض او يسبب ذلك اختلالا فى جاذبية الكواكب الكبيرة فتهوى الأرض على الشمس او الى ما لا نعرفه او نتصوره .

افلا يمكن ان يكون ذلك ايذانا بوقوع الساعة فيكون انشقاق القمر نذيرا بقربها . اين العلماء اذن من القرآن وهو يقول فى بساطة : « **اقتربت الساعة وانشق القمر** » . يطلقها هكذا لتكون مبحثا كبيرا من مباحث الفلك العظيمة يصل فيه الانسان الى ما تتيحه له قدرته على البحث وطاقته من العلم .

ونكتفى بهذا القدر من الآيات الفلكية خشية الاستطراد الطويل وقد اقتصرنا على بعض الأمثلة الواضحة العميقة الدلالة بيد ان هناك امثلة اخرى من الآيات الكريمة تحتاج من العلم الى جهد كبير وقد ينكشف بعضها اليوم او غدا وقد ينكشف بعد العديد من القرون . وقد لا ينكشف البعض ابد الآبدين .

٢ ـ علم طبقات الأرض

Geology

والكلام عن علم طبقات الأرض يحسن ان يكون تحت العناوين الآتية :

خلق الارض ـ تكوين الارض ـ شكل الارض ـ نقص اطراف الارض . ذلك ان هذه المواضيع هى التى طرقها القرآن الكريم .

خلق الأرض :

« او لم ير الذين كفروا ان السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى » .

تعد هذه الآية من الآيات التى لا تدع مجالا للشك فى انالقرآن كتاب منزل من عند الله . وقد اثبت العلم الحديث كلام القرآن بعد جهاد شاق طويل تقدمت فيه ابحاث الجيولوجيا والتحاليل الارضية فقد توصل « **لابلاس** » الى نظرية سميت باسمه تقرر ان الأرض والشمس ومختلف الكواكب والأجرام انما كانت سديما فى الفضاء وان الأرض انفصلت عن هذا السديم والادلة على ذلك كثيرة ومنها ان نفس العناصر التى تتكون منها الأرض هى نفسها التى تتكون منها الشمس .

وقد حاول العلماء جاهدين ان يصلوا الى حقيقة السديم وقد كان الراى الذى استقر الراى عليه مؤخرا جدا هو ان السديم عبارة عن غاز عالق به مواد صلبة ولهذا فانه لا يمكن اطلاق لفظ السديم على اى شيء من الوجهة العلمية سوى الدخان وليس عجيبا أن يكون هذا هو ما جاء به القرآن الكريم : **« ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها ، قالتا اتينا طائعين »** .

تكوين الأرض :

« والأرض بعد ذلك دحاها . اخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال ارساها[1] » .

يقول العلم ان الأرض انفصلت عن الشمس وهى على صورة غازية ملتهبة ثم اخذت تبرد شيئا فشيئا فنتج عن ذلك تجمد السطح الخارجى الذى اخذ يزداد سمكا . وفى هذه الفترة كانت الغازات والأبخرة تتصاعد من الأرض لتتساقط عليها ثانية على هيئة المطر فكان تكوين الماء بعد خلق الأرض .

وبنزول الماء مع الأمطار وتفجره من الينابيع وجدت التربة الصالحة التى ينمو فيها النبات ويترعرع ... او ليس ذلك هو ما يقرره القرآن الكريم .

شكل الأرض :

« **والأرض بعد ذلك دحاها** » هكذا تقول الآية الكريمة التى ذكرناها فى تكوين الأرض . وقد قرر القرآن الكريم فى مواضع عدة ان الأرض كروية ومن هذه الآيات نذكر قول الله عز وجل : **« افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون . او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون » .**

وهذه الآية تدل على ان الليل والنهار موجودان فى كل لحظة لأن امر الله سياتى فى جزء من الأرض ليلا وفى الجزء الآخر نهارا ولا يتاتى ذلك الا بكروية الأرض . وبمثل هذا المعنى قال عز وجل: **« لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » .**

فالليل والنهار متلازمان يجريان كفرسى رهان فلا يسبق احدهما الآخر فيها اى انهما موجودان على الأرض متلازمان

يقتسمانها قسمة عادلة ، وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم فيقوله تبارك وتعالى : « حتى اذا اخذت الأرض زخرفها وازينت ، وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » .

وكذلك جـاء فى القرآن ان شروق الشمس يحدث فى اماكن متعددة من الأرض فى قوله : **« ان الهكم لواحد . رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق » .**

واختلاف اوقات الشروق واماكنهـا يدل على دوران الأرض حول نفسها ولا يتأتى ذلك الا اذا كانت الأرض كروية .

ولقد ذكر القرآن ذلك صريحا فى لفظ لا يحتـاج الى تأويل حيث يقول : **« يكور الليل على النهار ، ويكور النهار على الليل »** فاى لفظ اوضح من هذا .. ان الله تبارك وتعالى يكور النهار والليل بعضهما على بعض ... علام ؟ على الأرض طبعا .. وهذا دليل على أن الأرض كروية .. اذ ليس من الممكن ان يعبر عن هذه الحركة بالتكوير ان لم تكن كذلك .

اما شكل الأرض بالتحديد فقد جاء فى الآية : **« والأرض بعد ذلك دحاها » .**

وفى هذه الآية دليل ليس بعده دليل على معجـزة القـرآن العلمية ... فالدحية هى البيضة . فكأن الله سبحانه وتعـالى يشبه الأرض بالبيضة ، ولقد ظل العلماء يتأرجحون ويتنقلون من راى الى راى فى شكل الأرض حتى انتهىبهم المطاف الى التقرير بان احـد قطبى الأرض اكثر سيولة من القطب الآخر ، وبدوران الأرض حول نفسها يكون الجزء الصلب اكثر استدارة وعلى هذا فلا يمكن ان يكون هناك شىء شبيه بالأرض فى الشكل الا البيضة او الدحية كما ذكر القرآن .

نقص اطراف الأرض :

« او لم يروا انا ناتى الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب » .

« بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ، افلا يرون انا ناتى الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون » .

ان الارض تبرد تدريجيا فتنكمش وانكماشها هذا سبب من أسباب الالتواءات الأرضية وسبب من الأسباب التى تحدث البراكين فاذا انكمشت القشرة الأرضية ضغطت على جوف الأرض فخرج منه الحمم والصخور الملتهبة على هيئة غازات تندفع بسرعة مبتعدة عن الارض .

غير ان الجاذبية الأرضية تنزل بهذه السرعة الى الصفر . الا أن الغازات ذات الكثافة الصغيرة تنطلق بسرعة كبيرة تخرجها عن نطاق الجاذبية الأرضية فتترك الأرض الى غير رجعة . وهذا يفسر ندرة الغازات الخفيفة مثل الهيدروجين الطليق والهليوم من الغلاف الأرضى . الأمر الذى يدل على هجرتها من جو الأرض ، ولما كانت الأرض كروية فان اطرافها هى كل ما يحيط بها .

ان كل هذه الحقائق لا تثير العجب ولا الدهشة ، ولكن العجيب حقا والمدهش حقا هو ذكر هذه الحقائق منذ الف وثلاثمائة عام أو يزيد فى كتاب الله المجيد فى موضعين من مواضعه حينما كانت هذه الفكرة وامثالها بعيدة كل البعد عن المحيط الفكرى للبشر .

٣ ـ علم الجغرافيا

Geography

الرياح لواقح السحاب :

« وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين »

لقد فسرت هذه الآية فى ضوء العلم الحديث على ان الرياح لواقح للنبات بعد ما ثبت ان الكثير من النباتات تحتـــاج الى الرياح كوسيلة من اهم وسائل التلقيح .

وان عظمة القرآن لتتجلى اذ يقرر العلم الحديث أن الرياح انما هى لواقح للسحب التى يتم بها نزول الماء من السماء .. فهى التى ترفع البخار وهى التى تكون السحب ، وهى التى تولد فيها الكهرباء بنوعيها ثم هى تسبب تلقيحها بعضها ببعض فينزل المطر.

وقد وردت فى اكثر من سورة الآيات التى تشير الى تلازم السحب والمطر والرياح مما يؤكد هذا التفسير نسوق منها قوله سبحانه وتعالى : **« وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه الى بلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون »**

فهذه الآية الشريفة تقرر فى جلاء ان الرياح تقل السحاب .

« ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته »
اى ان الرياح تبشر برحمة الله وهى هنا المطر .

« الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله ، فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون » .

« والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها ، كذلك النشور »

« وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا ، لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا » .

السنة الشمسية والقمرية :

« ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا »

لما سمع نصارى نجران تلك الآية قالوا : اما الثلاثمائة فقد عرفناها وأما التسع التى زادت على مدة بقائهم فى « الكهف » فلا علم لنا بها .

فنزل الوحى الى الرسول : **« قل الله اعلم بما لبثوا »**

وقد اثبت العلم الحديث ان كل ١٠٠ سنة شمسية تقابلها ١٠٣ سنة قمرية ، اى ان ٣٠٠ سنة شمسية تقابلها ٣٠٩ سنة قمرية .. هذا هو علم العصر الحديث وهذا ما قرره القرآنالكريم من ١٣٧٥ سنة ..

٤ ـ علوم الطب

M e d i c i n e

أ) علم الأجنة : **Embryology**

خلق الانسان من تراب :

« ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون »

وكذلك آيات اخرى كثيرة فى سورة آل عمران والأنعام والواقعة .

يقرر القرآن الكريم فى هذه الآيات الكريمة وفى غيرها ان الانسان خلق من تراب أو من طين أو صلصال . والطين هو التراب اذا اضيف اليه الماء والصلصال هو الطين اليابس .

وقد اثبت العلم الحديث ان جسم الانسان يحتوى على ما تحتويه الأرض من عناصر . فحقا خلق الانسان من تراب وهذه حقا معجزة من معجزات القرآن .

مكان النطفة فى الجنين :

« واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا . »

والراى العلمى الحديث ان الخصيتان فى الذكور والمبيضان فى الأنثى تتكون فى مكان بالظهر عند اسفل الكليتين تماما .

أغشية الجنين :

« يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث»

يقول علم الأجنة ان الجنين فى بطن امه يكون محاطا بثلاثة اغشية صماء لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة وهىالأغشية التى تعرف باسم المنبارية والأمنيونية والحذرنبونية .

افهل تجد فى اللغة العربية وصفا او اسما لمثل هذه الأغشية ادق من الكلمات كما ورد فى الآية الكريمة ...؟

تطورات شكل الجنين :

« وقد خلقكم اطوارا » .

يقول علم الأجنة انه بدراسة تاريخ الأجنة على وجه الأرض فى حياة البشرية وجد ان الجنين فى اول امره يشبه حيوان الخلية

الواحدة ثم يتقدم الحمل يأخذ شبه الحيوان ذو الخليات المتعددة ثم يتطور الى طور آخر اذ يأخذ شكل الحيوانات المائية ثم الثديية ثم شكل الانسان الذى يولد عليه .

كيفية خلق الانسان :

« فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » .

والماء الدافق خاص بالذكر وحده دون الأنثى وهو يخرج من بين صلب الرجل وترائبه . وهذا من عظيم اسرار القرآن فى الطب لأن هذه الآية الكريمة ترشدنا الى اصل تكوين الغدد التناسلية فى الانسان .

طور النطفة :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما » .

والنطفة هنا هى الحيوان المنوى . ومن اعجاز القرآن انه فرق بين النطفة (الحيوان المنوى) والمنى قبل ان يكشف المجهر باكثر من أحد عشر قرنا ، وهو قوله تعالى : « **أيحسب الانسان ان يترك سدى ، ألم يك نطفة من منى يمنى** » .

والقرار المكين فى قوله تعالى يقصد به الرحم ، والقرار المكين وصف بليغ موجز لتركيب الرحم ووظائفه .

طور العلقة :

« ثم خلقنا النطفة علقة » .

والعلقة لفظ دقيق ، يبين ذلك الطور الذى يمر به الانسان عند تلقيح الحيوان المنوى (النطفة) لبويضة الأنثى . فهو يعلق بها وينشب ويتمسك وهذا هو تلقيح الرجل للمراة ولهذا يقال فى اللغة علقت المراة اى حبلت . ويؤيد ذلك ايضا قوله تعالى « خلق الانسان من علق » لأن الانسان يخلق من اتحاد الحيوان المنوى مع البويضة ، اى يخلق من البويضة الملقحة ، اى خلق الانسان من طريق الزواج بين الرجل والمراة ويؤيد ذلك ايضا قوله تعالى : « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا » .

طور المضغة :

« فخلقنا العلقة مضغة »

(والمضغة) هو الطور الذى تتحول فيه البويضة الملقحة الى حالة تصبح فيها مكونة من ثلاث طبقات : الطبقة الخارجية ـ والطبقة الوسطى ـ والطبقة الداخلية . وكل طبقة من هذه الطبقات تكون الأصل لبعض الأعضاء والأجهزة فى جسم الانسان . اى أن هذه الطبقات الثلاث هى بذور اعضاء الجسم المختلفة ولهذا يصف القرآن المضغة بأنها مخلقة وغير مخلقة ، فيبلغ بذلك اقصى ما يمكن أن يصل اليه العلم من دقة . فهى مخلقة لوجود الاصول التى ستنمو منها الأنسجة والأعضاء شيئا فشيئا، وهى غيرمخلقة لعدم ظهورها ووضوحها .

طور العظام واللحم :

« فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما »

وهو الطور الذى يأتى بعد المضغة ولا نزيد هنا تفصيلا فما اردنا الا اثبات معجزة القرآن الخالد فى تقريره نشوء العظام قبل اللحم .

ب) علم الصحة الغذائية

Nutrition

رضاع الطفل :

« والوالدات يرضعن اولادهن حــــولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة » .

يقول الدكتور « الكسيس كاريل » انه يهيب بالأمهــات ان يؤدين ما خلقن له فان لبن الأم حق طبيعى للطفل .

وقد ثبت من الاحصاء الطبى ان عدد الوفيات فى الأطفال الذين يرضعون بطرق صناعية عشرة اضعاف عدد الوفيــات فى الذين يرضعون رضاعة طبيعية . ولا يلزمنا هنا ان ندخل فى تفصيلات علمية دقيقة ويكفى ان نقرر ان ميزة اللبن الطبيعى عــلى اللبن الصناعى لايمكن أن تعوض بحال. وهكذا جاءت الآية الكريمةتضم بين كلماتها اساسا من الأسس وقانونا من القوانين التى تقوم عليها الرضاعة .

قانون الطعام :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا »

هذه الآية تعتبر بحق دستورا كاملا وأساسا متينا للمعيشــة الصحية للانســان ، فالاسراف فى الأكل يؤدى حتما الى الســمنــة التى تمهد بدورها لكثير من الأمراض التى تهدد حياة الانســان وتجلب له الشقاء ، وفى مقدمتها امراض القلب ومرض الســكر وامراض الكبد والمرارة والكلى والضغط العالى وتصلب الشرايين. وبعد هذه الآية الكريمة هل بقى للطب ما يقوله فى هذا المجال .

عسل النحل :

« يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس »

هكذا تقول الآية الكريمة .. فيه شفاء للناس . وصدق الله العظيم . ولقد اثبتت التحاليل ان عسل النحل يحتوى على ما يقرب من نصفه سكر عنب او ما يسمى بالجلوكوز
وهذه النسبة تعتبر اكبر نسبة وجدت لهذا النوع من السكر ف اى غذاء آخر .

ويقول المرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل ان عسل النحل هو سلاح الطبيب فى اغلب الأمراض ، فهو يستخدم بصفته مقويا ومغذيا ، ويستخدم ضد التسمم الناتج من مواد خارجية مثل الزرنيخ والزئبق وكذلك ضد التسمم الناتج من بعض الأمراض مثل التسمم البولى والناتج من امراض الكبد والمعدة والأمعاء وفى الحميات والحصبة والالتهابات الرئوية وفى حالات الذبحة الصدرية ، وغير ذلك كثير ، حقا انه تنزيل من العليم الخبير ..

جـ) علم الطب الوقائى :

Preventive Medicine

وردت فى القرآن الكريم آيات عديدة عن الطب الوقائى لايمكن أن نلم بها جميعا فى هذا البحث وانما سنعرض لبعض الأمثلة التى تفى بالغرض المقصود .

تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير

قال تعالى فى كتابه الكريم : « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق** » .

الميتة وتحريمها :

والميتة هنا هى الحيوان غير المذبوح الذى يموت من تلقاء نفسه باى مرض من الأمراض . او بالشيخوخة او بحادثة من الحوادث كالخنق والواد والتردى وغيرها وبعد الوفاة بفترة قصيرة تبدأ عملية التعفن وتتكاثر اول الأمر الجراثيم غير الهوائية التى توجد طبيعية فى امعاء الحيوان فتغزو الجسم عن طريق الأغشية والأوعية الدموية والليمفاوية . ومن المواد التى تنتج من التعفن ما هو سام فى مفعوله .

وقد حرمت جميع الأمم « المتمدينة » اكل هذه اللحوم ولهذا الغرض انشئت السلخانات وذلك لما تنقله من أمراض قد تكون هى السبب فى وفاة الحيوان او لما تحدثه من حالات التسمم الغذائى Food Poisoning الذى ينتج من مخلفات

عملية التعفن Putrefaction ومن الأمراض الكثيرة الفتاكة التى لا يتسع المجال لتفصيلها مرض السل وهو كثير الانتشار وينتقل الى الانسان من جراءتناول اللحوم الميتة فى اغلب الأحيان.

الدم وتحريمه

من المقرر طبيا أن الدم هو أصلح الأوساط لنموشتى الجراثيم كما انه ايضا يحمل مخلفات الجسم الذى تنتج عن النمل الهدمى Catabolism فى الأنسجة المختلفة ويحتوى الدم الى جانب ذلك على الكثير من المواد السامة التى يعمل الكبد على تخليص الجسم منها ·

لحم الخنزير وتحريمه :

الخنزير هو العائل الوسيط لدودة التينيا سوليم وهى تنتقل الى الانسان بأكل لحم الخنزير وهذه الدودة من أشد الديدان فتكا بالانسان ·

وينقل الخنزير أيضا مرض التريخينا ولا يمكن الكشف عنه الا اذا فحصت جميع الياف عضلات الخنزير قطعة قطعة بواسطة المجهر وهذا طبعا أمر غير ممكن ·

كما ينقل الخنزير عن طريق تناول لحمه مرض الباراتيفويد وغير ذلك من الأمراض الكثيرة الفتاكة التى لايتسع المجال لتفصيلها ·

تحريم شرب الخمر :

(يايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما)

لقد بلغ القرآن من الحكمة غايتها وهو يواصل انتصاراته العلمية والانسانية فى سلسلة لاتنقطع . وان تحريم الخمر لمن الأشياء التى تخفى وراءها الحكمة الكاملة والنظرة البليغة الثاقبة . كما انها تنطوى على علم كامل بأضرار الخمر ومصائبها . ولقد كشف العلم النقاب عن الكثير من الأضرار التى لحقت ومازالت تلحق بالبشرية ، من جراء تناول الخمر . وكان تحريم الخمر فى القرآن ليس فقط معجزة فى الطب بل أيضا معجزة فى علم الاجتماع ومعجزة فى علم النفس .

لقد أثبت الطب أن خلايا الكبد الحية تتحول الى الياف ميتة لافائدة للجسم منها فيؤدى ذلك الى استشفاء فى البطن يوردالمريض فى النهاية موارد الهلاك والفناء . كما يؤدى ادمان الخمر الى تصلب الشرايين ومايتبع ذلك من أمراض القلب والكلى والنزيف المخى كما يؤثر على الجهاز العصبى تاثيرا بالغا اذ يزول حكم المخ على الأشياء زوالا تدريجيا فينقل الشخص من المرتبة الانسانيــة الى حضيض البهيمية . واذا استمر الادمان ضعفت المدارك الحسية والعقلية الى أن يصل الى دور الجنون أو الشلل .

ويكفى أن العلم قد كشف النقاب عن قتل الخمر للعواطف الانسانية السامية كالحنان والعطف والأبوة والواجب .

بل ان الخمر تحدث شذوذا جنسيا من كل نوع فنجد شارب الخمر عاهرا أو مصابا باللواط أو محبا لوطء الحيوان .

ويعتبر الخمر كذلك من اهم الأشياءالتى تؤدى الى الاجهاض .

اعتزال النساء فى المحيض :

(ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النســـاء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)

وقد قال الطب كلمته فى ذلك لأن دم الحيض دم فاسد يغص بالميكروبات والجراثيم التى تنتقل الى الرجل فتصيببه كمـــا أن مخالطة المراة فى وقت المحيض يصيبها هى أيضا بالضرر اذ ثبت أن هذه الجراثيم تنتشر الى امكنة أخرى فى جسم المراة مما يـؤثر على صحتها ·

وهكذا نرى القرآن يسير قدما كرائد للعلم الذى يترســم خطاه ·

د) معجزة بصمات الأصابع

« Finger Prints »

(لااقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحســب الانسان ان لن نجمــع عظامه ·· ؟ : بلى قادرين على ان نســوى بنانه ···!)

· هذه الآيات معجزة من معجزات القرآنالعظيمة وهى من الدلائل القاطعة والاشارات الصريحة الحاسمة على دعوة القرآن للعلم · فهذه الآيات تدفع الانسان دفعا الى دراسة البنان الذى أشـــار الرحمن الى أن تسويته أخطر بكثير من جمع العظام ·

ان هذه الآيات ذكرت حقيقة علمية عظيمة تعتبر من معجـزات العلم على مر العصور بعد ماحدثت انقلابا فى البحوث الجنائيةالتى أحرزت فيها تقدما منقطع النظير قال تعالى :

(نسوى بنانه) اى نرتب أصابعه ومعنى الآيات أن الله تعالى يقول : ايظن الانسان اننا لن نقدر على جمع عظامه .. كلا . بل نحن قادرين على تشكيل أصابعه وترتيبها • وكانت هذه لفتة من عند الله واشارة واضحة الى شيء معجز فى البنان حتى كشف الطب الحديث النقاب عن بصمات الأصابع التى لايمكن أن يتماثل فيها أصبع مع اصبع ولو كانا من يد واحدة ولهذا يقول الله فى معرض استعراض قوته وعظمته لذلك الانسان الحقير انه قادر على تشكيل الأصابع على اختلافها وتعقيد خطوطهاالتى تكون بصماتها •

٥ — علم الحياة

Biology

وسنذكر هنا فقط الآيات التى تعرضت للنبات والحيوان بغير تعليق أو تعقيب لضيق المقام • وفيما سبق من بعض التفصيل فى بعض العلوم ما يكفى لأن يكون دليلا حاسما على ما نحن بصدده .

(والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجليه ومنهم من يمشى على اربع ، يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير)

(ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك) (٣)

(وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم مافرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون)

(وان لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين)

(أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) •

(وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)

(وانزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى)

(اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم)

٦) علم الوراثة

Genetics

(حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما) .

فى هذه الآيات اشارة صريحة الى زواج الأقارب الملتصقين بالتحريم وقد أثبت العلم الحديث أن زواج الأقارب ينتج ذرية افرادها على استعداد للامراض وبها عيوب خلقية وأن درجة التناسل تقل حتى لقد تصل الى العقم وأما زواج الأباعد فأنه ينتج ذرية تفوق اى من الأبوين على السواء .

ولعل هذه النظرية تفسر لنا الآية الشريفة كما تفسر لنا ما أوضحه القرآن الكريم من أن سيدنا نوح أخذ معه فى سفينته من كل كائن حى زوجين وليس زوجا واحدا ليعمل على زواج الأباعد ما أمكن .

فقد عرف مبدأ الشورى فى القرن السابع عشر وقانـون الولايات المتحدة الذى أقر المبدأ بعد منتصف القرن الثامن عشر أما القانون الفرنسى فقد أخذ بمبدأ الشورى فى آخر القرن الثامن عشر وعلى أثر ذلك انتشر مبدأ الشورى وأخذت به معظم القوانين الوضـعية فى القرن التاسع عشر .

تحريم الخمر :

حرمت الشريعة الاسلامية الخمر تحريما مطلقا وجعلت عقوبة تناول الخمر من الحدود « **يايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلـكم تفلحون** » .

وقد بدا العالم ياخذ الشريعة الاسلامية ويسير على اثرهـا فسجل على نفسه بذلك انه استجاب للحق بعد ان ظل يدعى اليه ثلاثة عشر قرنا فلا يجيب . ويستطيع الانسان أن يرى أثر الدعوة الى التحريم ظاهرا فى تشريعات القرن الحالى فقـد اصدرت الولايات المتحدة منذ اعوام قانونا يحرم الخمر تحريمـا باتا . واصدرت الهند قانونا مماثلا منذ عشرة أعوام وهاتان هما الدولتان الوحيدتان اللتان حرمتا الخمر تحريما تاما .

نظرية تعدد الزوجات

« **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فـان خفتم الا تعدلوا فواحدة** »

ونظرية الشريعة هذه من النظريات التى لم تعترف بهـا القوانين الوضعية حتى الآن بل كانت هذه النظرية قديما مدعاة لتندر الأوروبيين واستهجانهم ولكنها اليوم تجد فى نفوس علمائهم ومصلحيهم مكانا وفى صحفهم السيارة موضعا ومن يدرى لعل اليوم الذى تاخذ فيه القوانين بهذه النظرية قد اقترب ..!!

نظـــريات فى الاثبات والتعاقد (آية الدين) :

وهى مجموعة من النظريات ذكرها القرآن واحدة .

« يايها الذين آمنــوا اذا تداينتم بدين الى اجــل مســمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا أو لايستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرىولاياب الشهداء اذا مادعواولا تساموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة ، وادنى الا ترتابوا الا ان تــكون تجارة حاضــــرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » .

وهذه الآية تشتمل على عدد من المبادىء التشريعية والنظريات الفقهية نبين اهمها فيما يلى :

نظرية الاثبــات بالكتابة :

فرضت الشريعة الاسلامية الكتابة وسيلة لاثبات الدين المؤجل سواء كبرت قيمة الدين أو صغرت كما جاء فى الآية السابقة .

وفرضت الشريعة الاسلامية الكتابة بين الاميين لتحملهم على ان يتعلموا فتتسع مداركهم وتتثقف عقولهم ويحسنوا فهم الحياة فيصبحوا وقد تعلموا اهلا لمنافسة الامم الاخرى وللتفوق والسيطرة عليها وهذه اغراض اجتماعية وسياسية بحتة .

اما الغرض القانونى فهو حفظ الحقوق واقامة الشهــــادات والابتعاد عن الريب والشكوك .

٧ - منهاج كامل فى التربيــــة

وهذا الموضوع أكبر بكثير من ان يضمه بحث صغير كهذا ، ولهذا فساكتفى بالتقرير بان القرآن وضع اسسا للتربيــــة بل واهدافا للتربية ستظل متطلعا للأجيال القادمة مهما طال الأمـــد وقد وفق الله الكاتب الاسلامى الأستاذ محمد قطب الى اظهار هذا المنهج وتبيين اساليبه وطرقه واهدافه وغاياته . فقـــد كتب فى كتابه (منهج التربية الاسلامية) عن خصائص هذا المنهج وكيف لجأ القرآن والاسلام الى تربية الروح وتربية العقل وتربية الجسم فى آن واحد . ثم بين كيف عالج القرآن النفس البشرية بالضرب على اوتار الخطوط المتقابلة فيها كالخوف والرجاء .. والحب .. والكره .. والواقع والخيال .. والحسية والمعنوية .. وماتدركه الحواس ومالاتدركه الحواس .. والفردية والجماعيـــــة .. والالتزام والتطوع ... والسلبية والايجابية . وأبرز الكاتب كذلك وسائل التربية المختلفة كما عرضها القرآن وكما جاءت بالسنة من التربية بالقدوة والتربية بالموعظة والتربية بالعقوبة والتربية بالقصــــة والتربية بالعادة وتفريغ الطاقة ثم ملء الفراغ والتربية بالأحداث .

وهكذا نرى أن الاسلام قد جاء بمنهج كامل للتربية هو غاية مايتطلع اليه علماؤنا وعلماء الأجيال القادمة من بعدنا .

٨ - القانون (ما يسمى فى الإسلام بالشريعة) ...

وهو من أعظم العلوم التى جاء بها الاسلام . وآيات القـــرآن مليئة بالأسس والمبادىء والأحكام التى يقوم عليها التشريع وانه لمن دواعى الأسف تلك العقيـــــدة الخاطئة المضللة التى أحاطت بالشريعة الاسلامية . وخاصة القسم الجنائى منهـــا ومن المؤلم

للنفس أن تروج هذه العقيدة الخاطئة أو الأكذوبة الكبرى وأن يلقنها الطلبة على أنها عقيدة مسلم بها من أولى العلم والقائمين على أمر التشريع بالرغم من أنها قائمة على مخالفة الواقع وانكار الحقائق والجهل الفاضح بأحكام الشريعة .

وتمتاز الشريعة على القوانين الوضعية بشمولها وصلاحيتها لكل جماعة ولكل قوم فى كل زمان ومكان فهى شريعة الزمن كله فى كل مكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وحسبنا ان نعرف ان كل مايتمنى رجال القانون اليوم أن يتحقق من المبادىء موجود فى الشريعة من يوم نزولها ، ولتبيان ذلك سنعرض هنا لبعض الأمثلة القليلة التى تثبت تفوق الشريعة الاسلامية والبون الشاسع بينها وبين سائر القوانين الوضعية .

نظرية المساواة :

(ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم) ولم تعرف القوانين الوضعية نظرية المساواة الا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . واذن فقد سبقت الشريعة القوانين بأحد عشر قرنا ولم تأت القوانين بجديد حين قررت مبدأ المساواة وانما سارت فى أثر الشريعة واهتدت بهداها .

نظرية الشورى :

(وامرهم شوى بينهم) (وشاورهم فى الامر)

ولقد سبقت الشريعة الاسلامية القوانين الوضعية فى تقرير مبدأ الشورى بأحد عشر قرنا حيث لم تعترف هذه القوانين بمبدأ الشورى الا بعد الثورة الفرنسية اللهم فيما عدا القانون الانجليزى

وهذه النظرية هى احدث النظـــريات فى القوانين والمذاهب الاجتماعية الحديثة . ففى اوائل القرن التاســـع عشر اشترط القانون الفرنـسى الذى اخذت عنه القوانين الأوروبية انيكون الدين مكتوبا اذا زاد عن مقدار معين . ولكن شراح القانون راوا أن نظرية الاثبات بالكتابة تكون اكمل واكثر توفيقا لو اشترطت الكتـــابة فى الصغير والكبير وقد تحقق ذلك فى بعض الدول الأوروبية بالفعل . واذن فاحدث نظريات الاثبات فى عصرنا الحاضر هى نفس نظرية الشريعة الاسلامية اخذت بها القوانين الوضعية ولا يزال الشراح فى بعض الدول يطالبون دولهم أن تاخذ بها .

نظرية اثبات الدين التجارى :

« استثنت الشريعة من هذا المبدأ العام الذى ذكر آنفا الدين التجارى واباحت اثباته بغير الكتابة (الا ان تكون تجارة حـــــاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها) .

والعلة فى ذلك ان الديون التجارية تقتضى السرعة ولا تحتمل الانتظار واشتراط الكتابة يؤدى الى الحرج وقد يضيع فرصـــــة الكسب . وهذه النظرية ايضا هى احدث ما وصل اليه القانون الوضعى فى عصرنا الحاضر .

نظرية حق الملتزم فى املاء العقد :

ويقضي هذا المبدأ بان يملى العقد الذى عليه الحق أو أضعف الطرفين والمقصود من هذا المبدأ هو حماية الضعيف من القوى .

وهذه الحالة التى عالجتها الشريعة يوم نزولها هى من اهم المشاكل القانونية فى عصرنا الحاضر وقد جاءت الشريعة بهذا المبدأ من ثلاثة عشر قرنا بينما القانون الوضعي لم يصل الى تقرير مثله حتى الآن مع ما يدعى له من الرقى والسمو » .

نظرية تحريم الامتناع عن تحمل الشهادات :

« حرمت الشريعة على الانسان أن يدعى للشهادة فيمتنع أو أن يشهدوا معه فيكتمها أو يذكرها على غير حقيقتها **(ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) (يايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين)** .

وبعد فان هذه النظريات الأربع التى جاءت جميعا فى آية الدين اخذت القوانين الوضعية باثنين منها وبدأت فى الأخذ بالثالثة ولم تأخذ بعد بالرابعة » .

واخيرا فان المبادىء التى جاءت فى الشريعة الاسلامية لا يمكن ان تحصر فى الكتاب الكبير فضلا عن هذا البحث الصغير وانما ذكرنا القليل من الأمثلة على سبق الشريعة لندلل بذلك على أن القرآن نزل على المسلمين بآراء علمية ازلية ودعاهم الى البحث والتفكير لينتفعوا بشريعتهم التى اهداها الله لهم وليبنوا مجتمعاتهم على الأساس القوى المتين الذى ارسته لهم شريعتهم وهل يمكن ذلك بغير مواصلة الجهد ومتابعة البحث والمثابرة على العناء وهل اكثر من ذلك حافزا على التعلم ودعوة للعلم .

واخيرا لا يفوتنا ان نذكر ان هذه العلوم التى عرضنا لبيان أصولها فى كتاب الله الكريم ليست هى كل ما يحويه كتابنا العزيز من علوم . ففى القرآن أصول لعلم الطب النفسى وفيه ايضا اشارات واضحة لعلم الديناميكا وكذلك الكيمياء .. وغير ذلك من العلوم .

الفصل الخامس

القرآن يكرم العلم والعلماء

تكلمنا فى الباب السابق عن القرآن كمرجع عظيم لأحدث الآراء والنظريات العلمية الحديثة ، وقلنا ان الذى سقناه انما هو على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر . فليس ذلك سوى دليل على احتفال القرآن بالعلم وتكريمه له . والا فلماذا تكلم القرآن فى العلم .. ولماذا نزلت الآيات الكثيرة فى تفصيل الكثير من النظريات العلمية والحقائق العلمية ..؟! لماذا تحدث القرآن عن الفلك ..؟؟! ولماذا تكلم فى الطبيعة ..؟؟! .. والنبات .. والحيوان .. ولماذا تناول الطب والتاريخ والجغرافيا .. والزراعة .. والوراثة .. والطب النفسى .. والاستكشاف وما وراء الطبيعة .. والتربية النفسية .. .واخيرا التشريع والقانون .

لقد لفت القرآن انظار المسلمين الى كل هذه العلوم حتى يزدادوا ايمانا .

ولفت القرآن ايضا انظار الكافرين الى كل هذه المعجزات حتى يعودوا الىحظيرة الحق .

اذن لقد كرم الله العلم اذ جعله من الأسلحة القوية التى يتدرع بها المؤمنون وجعله ايضا من الأدلة الواضحة التى يدفع بها الكافرون والمنكرون .

لقد كرم الله العلم فجعله منبرا للهداية وسندا للعقيدة فى قلوب المسلمين . وكيف لا يكرم الله العلم وهو تفكير وتدبر فى خلق الله .. وهو نظر وتثبت من عظمة الله .. وهو اعمال للعقل فى الاستدلال والاستنباط .. والتدليل على صدق الدعوة الاسلامية ونبيها الكريم .

نعم كان لا بد ان يكرم الله العلم كما كرمه . وسبحان الله المبدع هو اعلم بما يصنع .. فماذا لو كان العلم كما مهملا فى كتاب الله ..؟ ماذا لو طرح العلم جانبا بعيدا عن كلام الله ..؟ باى شيء كان يتسلح المسلمون اذن فى هذا العصر الحديث .. عصر العلم والمعرفة .. كان لا بد للمسلمين ان يكون لهم من العلم سند .. ايقفوا امام تيار المادة الجارف ..

نعم كان لا بد للمسلمين ان يكون لهم سلاح من العلم المنبثق من الايمان والعقيدة .. المنبثق من الايمان بالله والتفكر فى خلق الله . كان لا بد لهم من هذا النوع من العلم ليقفوا به فى وجه العلم المنبثق من الكفر والالحاد .. المنبثق من غرور الانسان وكبرياء الانسان .

بكل هذا كرم الله العلم ولكل هذه جاء القرآن وكله تكريم للعلم ..

نعم لقد كرم الله العلم عندما دعا اليه وعندما كانت أولى آيات الوحى تدعو اليه .

وكرم الله العلم عندما بسط فى كتابه الكثير من حقائقه .. وكرم الله العلم أعظم تكريم عندما نسب الى نفسه العلم كله ... اى تكريم للعلم وأى احتفال به اعظم واجل من أن ينسب بأجمعه الى الله تعالى ، فهو تبارك وتعالى العالم وهو العليم .

اوليس الله هو القائل :« **الم تعلم بان الله يعلم ما فى السموات والأرض** » وهو القائل : « **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ...** »

« فاذا آمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمـــون » .
« واتقـــوا الـــــه الـــذى امدكم بمـــا تعلمـــون ... »
أى ان كل ما عند البشرية من علم مرجعه الى الله . نعم كل ما عند البشرية..! كل ما عند المؤمنين ،وكل ما عند المكذبين ، وكل ماعند الكافرين والملحدين . كل ما عند هؤلاء وهؤلاء من علم مرجعه الى الله . وكيف لا وهو العلى القدير وهو بكل شئ عليم . **« فـلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعـلمون .. »**
« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر .. »
« الم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب »
« الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الأرحام وما تزداد » .
« قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة » .

هذا جانب ضئيل من الآيات التى تكرم العلم بنسبته الى الله فتضعه بذلك فى مكانة سامية تدعو البشر الى السباق اليه والتزود منه . ولهذا فان الله يفرق بين الناس فيما يفرق بدرجة علمهـــم اى انه يكرم الذين يعلمون . وهذا هو اكرام العلماء بعد اكرام العلم. وهل كان يمكن ان يكرم العـــلم دون العـــالمين ويكرم النظر دون الناظرين وهل كان يمكن أن يكرم البحث دون البـــاحثين أو يكرم التفكير دون المفكرين . او يكرم المعرفة دون العارفين ..!! **كلا ..** لا يمكن لذلك أن يكون . ولهذا جاء تكريم الله للعالمين والذين يعلمون فى مواضع كثيرة من كتابه الـكريم فهو القـائل عز وجل (**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) . وهذا استفهام نفى اى انه لا يمكن بحال ان يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

وانظر كيف جاء طلب العلم على لسان موسى فى القرآن الكريم. موسى رسول الله يطلب العلم من بشر مثله (**قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ..**) .

تامل معى موقف موسى عليه السلام من صاحبه وهو يطلب منه علما ... ثم ماذا .. يتبعه مقابل ما يسدى له من علم .

ويتجلى تكريم القرآن للعلماء حين يضعهم بعد الملائكة فى التوحيد **(شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم)** .

ويتحدث القرآن عن خشية الله فلا ينتقى غير العلماء ليجعلهم اكثر الناس خشية له **(انما يخشى الله من عباده العلماء).**

وهكذا راينا القرآن يكرم العلم ويكرم العلماء والذين يعلمون ـ وليس ذلك كله بدعوة للعلم فحسب وانما هو استنهاض للهمم.. نعم هو استنهاض لهمم المسلمين حتى ينتسبوا الى العلم الذى نسبه الله اليه واستنهاض لعقول المسلمين لتعمل وتبحث وتفكر فتثمر وتنتج حتى يحق لها التكريم الذى حفى الله به اولو العلم .

اذن فدعوة القرآن للعلم هى اقصى ما يمكن أن يصنع فى سبيل العلم . فهى دعوة توجه الى الناس اجمعين .. وممن .؟ من الله رب العالمين ... وزيادة على ذلك تكريم لأولى العلم وتكريم لهم فى اى موضع ..؟؟ فى كتاب الله الكريم وهو الكتاب الخالد ابد الآبدين .

ترى ـ اى طريق بعد ذلك يتخيره المسلمون ..؟

هل يتخذ المسلمون طريق الجهالة وقد دعاهم الله الى العلم..؟

وهل يتخذ المسلمون طريق الجهالة وقد كرم الله العالمين منهم؟

كلا ... لا يمكن أن يكون ذلك ..ولابد للمسلمين أن يستجيبوا لنداء ربهم ويتسابقوا الى الفوز بتكريمه وكرمه .

واذا كان للمسلين ان يستجيبوا ، واذا كان لهم ان يتسابقوا فلابد ان يكون المجيب الأول لنداء الله ولابد ان يكون السباق الأول لكرم الله هو محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه الأمى ـ وهو الذى سنبينه فى الفصل القادم .

الفصل السادس

محمد صلى الله عليه وسلم
يدعو الى العلم

وهل كان لمحمد الا ان يدعو بدعوة ربه وهل كان له الا ان يكون رسولا نبيا .

لقد دعا محمد صلى الله عليه وسلم الى العلم اول ما دعا عندما قام بتبليغ القرآن الكريم وهو يحمل العلم كله بل قام بالدعوة الى العلم وهو يبلغ للمسلمين اول آيات نزل بها الوحى الأمين . ثم دعا محمد بلسانه الى العلم دعا بلسانه وبيانه وهو النبى الأمى . ولكنه دعا اليه بوحى من عند الله .

(والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى) .

لقد اهتم النبى بنشر الدعوة الاسلامية وهى بعد الذى سردناه دعوة الدين والعلم معا . لقد استنهض الهمم للدراسة والبحث وجمع من يجيدون الكتابة لتسجيل ما ينزل من آيات القرآن الكريم ، وفى سبيل ذلك كان لا بد من دعوة المسلمين الى العلم . فقد كان عليهم أن يتعلموا القراءة والكتابة حتى يكتبوا القرآن ويتعلموه وينشروه .

ولقد كان حرصه صلى الله عليه وسلم على ذلك شديدا حتى انه جعل فدية بعض الأسرى الذين يكتبون ان يعلموا صبيان المدينة .. كل اسير يعلم عشرة فداء لاطلاق سراحه .

ولقد زاد نطاق القراءة والكتابة فى عهد الرسول عن اللغة العربية فقد كان يحث الصحابة ويطلب منهم تعلم اللغات الأخرى فعن زيد بن ثابت قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **انى اكتب الى قوم فاخاف ان يزيدوا على او ينقصوا فتعلم السريانية فتعلمها فى سبعة عشر يوما**) . ويظهر ذلك مدى اهتمام الرسول الكريم بالتعليم اذ يطالب بتعلم اللغات ومدى استجابة المسلمين اذ يتعلم احدهم لغة اجنبية فى أيام قلائل ..!!

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه مر ذات يوم برجل والناس مجتمعون عليه فقال : ما هذا ؟.. فقالوا : رجل علامة .. فقال : بماذا ..؟ قالوا : بالشعر وانساب العرب : فقال : علم لا ينفع وجهل لا يضر مما يدل على أن دعوته كانت للعلوم .

والأحاديث النبوية الشريفة التى تحض على العلم وتدعو اليه كثيرة . ومن أعظمها دلالة واشدها بيانا قوله صلى الله عليه وسلم (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**) .

نعم لقد كان الرسول حريا أن يحث على العلم ويرفع منزلته ولكن التعبير الذى استعمله الرسول وهو يحث على العلم له ايحاءاته الخاصة ودلالاته العميقة .

طلب العلم « فريضة » وفى ذلك يقول الأستاذ محمد قطب « ان هذه الكلمة المفردة تشع وحدها أمواجا من النور وتفتح وحدها آفاقا من الحياة » .

فريضة ... فلننظر ما تعنى الفريضة فى قلوب المؤمنين .

انها اولا : واجب مفروض على الانسان ان يؤديه ولا يجوز ان تشغله عنه المشاغل ولا أن تقعده العقبات .

وهى ثانيا : واجب يؤديه الانسان الى الله ويتعبد به اليه ومن ثم فهو يؤديه بامانة ويؤديه بنظافة .. ويؤديه باخلاص .

وهى ثالثا : عمل يقرب العبد من الرب فكلما قام الانسان بهذه الفريضة أو بهذه العبادة احس انه يقترب من الله فيزداد به ايمانا وتعلقا ويزداد له خشية وحبا ويزداد احساسا بالرضى فى رحابه والشكر على عطاياه .

بهذه الروح الواصلة الشاملة كان الرسول يربى المسلمين ويدعوهم الى العلم ولقد علم الرسول المسلمين ان العلم « فريضة » تصل الأرض بالسماء وتصل العمل بالعقيدة وتصل المعرفة بالله .

ولهذا اصبح للعلم فى عقول المسلمين هذا المدلول الشامل فهو ليس علم الأرض وحدها وليس علم السماء وحدها وليس علم النظريات وحدها او علم التطبيقات ولكنه ذلك كله مشمولا بالعقيدة ومرتبطا بالله . ومن ثم امتدت العلوم فى نظرهم حتى شملت المعرفة كلها . فمنها علوم الدين من فقه وشريعة وتوحيد وكلام ، ومنها علوم اللغة وعلوم الفلك والطبيعة والكيمياء والرياضيات .. الى آخر ما كان معروفا يومئذ من العلوم .

لقد كان من اثر جعل العلم فريضة ان كانت من سمات العلم عند المسلمين الصدق والاخلاص . بيد ان هناك ايضا مزيتان اخريان تركتا طابعا اصيلا فى الحياة الاسلامية ما يقرب من الف عام .

المزية الأولى ان العلم وهو « فريضة » كان يقرب القلوب الى الله .. ولا يبعدها عن هداه .

نعم لم تحدث فى الاسلام تلك الفرقة البغيضة بين العلم والدين وكيف تحدث والعلم فريضة يتقرب بها الانسان الى الله . ولم يحدث فى التاريخ الاسلامى ان عالما يبحث فى الطب او يبحث فى الفلك أو يبحث فى الطبيعة أو يبحث فى الكيمياء وجد نفسه معزولا عن العقيدة .

والميزة الثانية الناتجة من كون العلم فريضة انه لم يستخدم قط فى الشر او الايذاء وكيف يستخدم العلم فى الشر وهو فريضة وعبادة ؟! »

ونعود الى احاديث الرسول فى الحث على طلب العلم فنجده يقول « **اطلبوا العلم ولو فى الصين** » . يامر المسلمين بطلب العلم ولو فى الصين . وهذا الحديث دليل آخر وبرهان قاطع على ان دعوة الرسول للعلم دعوة شاملة تشمل علوم الدين وعلوم الدنيا على السواء . وهذا الحديث دليل قاطع وبرهان ساطع ايضا على القوة العظيمة والعزم المتين اللذين دعا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العلم . فهو يأمر المسلمين بطلب العلم والسعى وراءه ولو دعاهم ذلك لسفر طويل الى بلد بعيد كالصين . اذن فهى دعوة الى الانطلاق نحو العلم لا تحدها حدود ولا تقف دونها عوائق . دعوة للانطلاق وراء العلم فى كل مكان ، فى الصين وفى غير الصين وانما اختارالرسول صلى الله عليه وسلم الصين لبعدها عن الجزيرة العربية وحتى يتحقق من السعى معناه ولكى ينزل منزلته الرفيعة التى دونها السعى الحثيث والمجاهدة والمثابرة .

ونعود مرة ثانية الى رسولنا صلى الله عليه وسلم لنسمعه يقول (**من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة**) فندرك ان العلم الذى تحوطه العقيدة طريق الى الجنة .

ومن قول الرسول ايضا فى الدعوة الى العلم (**لا بارك الله فى يوم لا ازداد فيه علما**) ومن قوله ايضا : (**تعلموا العلم فان تعلمه خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعلمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة**) .

ومن احاديثه فى تعليم الغير :(**من سئل عن علم فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**) و (**ساعة عالم متكىء على فراشه ينظر فى علمه خير من عبادة العابد ستين يوما**) .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخيانة فى العلم فكان اول من نبه الأذهان الى ضرورة التثبت من العلم وعدم الخيانة فيه والسرقة منه او الدس عليه فقال : (**تناصحوا فى العلم فان خيانة فى العلم أشد من خيانة فى المال**) . . . وطلب النبى من المسلمين ان يتفهموا حقيقة العلم حين قال فى وصفه انه ((**الأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء وبه يعرف الحلال من الحرام وهو امام العمل والعمل تابعه .**))

. ولم يكتف الرسول بالدعوة الى العلم . فقد قال فى العلماء مثل ما قال القرآن ومن احاديثه صلى الله عليه وسلم فى توقير العلماء ورفع قدرهم (**ان مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداة**) . ومنها ايضا (**لموت قبيلة خير من موت عالم .**) و (**يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**). ومن احاديثه كذلك (**ارحموا عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما بين جهال**)

ويحدثنا أبوذر الغفارى رضى الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : (**حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال عليه الصلاة والسلام وهل ينفع القرآن الا بالعلم ؟**)

هذه هى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تضع حجرا اساسيا فى دعوة الاسلام الى العلم بعد دعوة القرآن اليه غير ان له كذلك آثار علمية نذكر بعضها هنا لنلم بدعوته للعلم من جميع وجوهها . فهو يقول فى حديث له (**ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم من لقيمات يقمن صلبه فان كان لابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**) .

وهو يقول كذلك (**نحن قوم لا ناكل حتى نجـــوع واذا اكلنـــا لا نشبع**) وهو القائل ايضا (**الرضاع يغير الطباع**) وهو ما اثبتــه العلم الحديث .

ومن احاديثه فى الطب قوله : (**الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء**) وهذه هى اولى الطرق التى عرفها العلم الحديث لتخفيض درجة الحرارة وهى انجع الطرق على الاطلاق فى درجات الحرارة المرتفعة جدا لانها تهبط درجة الحرارة فى سرعة لا تتاتى بأى دواء .

ويحارب النبى الأمراض التى تنتقل عن طريق العدوى من الماء بقوله : (**لا يبولن احدكم فى الماء الدائم ثم يتوضأ منه**) .

ويحدثنا النبى صلى الله عليه وسلم عن الحجر الصحى منـــذ **ثلاثة عشر قرنا فيقول : (اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوها واذا وقع بارض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها .)**

هذا هو هدى الرسول فى تقييد انتشـــــار الأمراض عن طريق العدوى فهل عرف العلم الحديث وسيلة غير هذه الوسـيلة وبهذه الفعالية ...؟؟

ويتحدث النبى عن ضرر زواج القرابة فيقول : (**لا تنكحـــوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اى نحيفــا وذلك لضعف الشهوة**) . لقد قيل هذا الحديث منذ مئات السنين ومر عليـــه الناس بين مؤمن وكافر ومصدق ومكذب حتى جاء الطب ليؤيد هذا الحديث ويرسله معجزة من معجزات الرسول .

ان هذه الاحاديث العلمية والطبية التى ذكرتها انما اســـوقها فقط كمثال على تراث النبى العلمى الذى يربو على مئات الاحاديث وخاصة فى الطب الوقائى والعلاجى ولسنا هنا بصدد حصر هـــذه الاحاديث وانما نذكر منها ما يفى بالفرض المقصود من الكشف عن دعوة الرسول للعلم والتفكير والتدبر وحمله لواء المعرفة والبحث .

هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اطار استجابته لدعوة الله عز وجل للعلم ودعوته هو للمسلمين ..

فماذا اذن فعل بقية المسلمون .. ؟؟

لابد انهم ترسموا خطى نبيهم الكريم ، فانطلقوا الى العلم تلك النافذة المفتوحة على المجهول والشعاع النافذ الى الظلمات وسنرى فى الفصل القادم ماذا راى المسلمون خلال هذه النافذة وماذا راوا بعد ان تبددت ظلمات الجهل بنور العلم

الفصل السابع
استجابة المسلمين للدعوة الى العلم

وقبل ان نتحدث عن آثار المسلمين فى مختلف العلــــوم نورد شهادات العلماء والمؤرخين التى تؤيد صدارتهم للعلم وفضلهم فيه . وعلى سبيل الاشارة يقول الفيلسوف الفرنسى « **ارنست رينان** » (أن الآثار والأسفار المحتوية على شتى الفنون والعـــلوم التى اضفاها علماء الاسلام على الكون والتى نقلتها الحملات الصليبية الى جميع بلاد الفرنجة وما تقدمها من احتكاك بين العرب واوروبا عن طريق الأندلس . ادى كل ذلك الى افعام المكتبات الأوروبيــــة الخاوية الفقيرة بكنوز لا تفنى من العلم الذى انتجته قرائح العرب وكان من نتائجه انتشار الثقافة والترعرع العلمى فى البيئة الأوروبية بأسرها كما رفع مستوى شعوبها الى افق التمدن الذى نشاهدهـا عليه اليوم) .

ومن قول العالم المؤرخ (**هـ.ج. ويلز**) فى موسوعته الكبيرة عن معالم تاريخ الانسانية (قد سبق العالم الاسلامى الغرب بقرن او ما يقاربه اذ تمت به عدد من المراكز فى البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة ، وفى قرطبة قامت على انقاض ما كان فى مبدأ الأمر من مدارس دينية تعتمد على المساجد سلسلة من الجامعات العظيمة

فاضاء نورهاته الجامعات خارج العالم الاسلامى الى مسافات بعيدة واجتذب اليها الطلاب من الشرق والغرب ويقول أيضا : لقد اصبحت بلاد العرب على الفجاءة بستانا من رجال ممتازين) .

ويقول المستشرق الايطالى **ليبرتينى** (اننى اكاد اعتبر اقطاب الأندلس وجزيرة العرب ـ عندما ضاء سناء الحضارة العربيـة بفضل جهادهم والعلم المنتشر فى ربوعهم ـ اكبر اعداء العـالم ـ لأنهم لم يكتفوا بافناء بعضهم بعضا بل تعدوا ذلك الى المع حضارة اوجدها انسان على وجه الأرض وكانت لم تزل تترعرع فى احضان النهضة الاسلامية الخارقة . فلو اتاح لها أربابها والعاملون على اشعال قبسها الوضاء الباهر ان تمشى فى سبيلها الى التكامل لما بقى على الأرض الا كل عربى أو مستعرب ولما كان غير الاسلام دينا للمجموعة البشرية) .

ويقول **جون دوانبورت** المؤرخ الانجليزى (لو لم تقم فى جنوب اوروبا الحضارة الأندلسية العربية لظلت هذه القارة ـ اى اوروبا ـ تسبح الى اليوم مع شعوبها المختلفى النحل والنزعات فى حلك من ظلمة الجهل والبداوة ولما ظهر للمدنية الأوروبية الحالية من اثر فى الوجود) .

ويقول **نوبرحر** (فاقت المدنية العربية فى اوج امبراطوريـة الاسلام مدنية رومية القديمة فى حيويتها وتنوعها على حين كان لحضارة الأسلام فى الأندلس مركز يشابه من عدة وجوه حضارة اليونان القديمة)

ومن الأقوال الصادقة التى تصور حضارة الاسلام تصويرا دقيقا قول العلامة **دوش** « ان المدنية الاوروبية بل المدنية الغربية كلها مدنية للمسلمين ومن المدهش أن يصبحوا ـ وكانوا اول امرهم على الفطرة ـ عنصرا فاتحا ـ ويعتبروا سادة لنصف العالم فى مائة عام ومن اشد العجب حماستهم العظيمة وسرعتهم البالغـة فى

تحصيل العلوم وتكوين الثقافة اللازمة لعظمتهم حتى وصلوا الى مستوى عال فى مائة سنة بينما نرى الجرمانيين لما فتحـــــوا الامبراطورية الرومانية قضوا الف عام قبل أن يقضوا على التوحش وينهضوا لاحياء العلوم . »

ان هذه الأمثلة التى قدمت ليست سوى قليل من كثير كتبه عن حضارة الاسلام غير المسلمين . وهل من شهادة اعظم واصدق من شهادة اعداء المسلمين لحضارة الاسلام .

وليس هذا فقط هو دليلنا على نهضة المسلمين وتصـــدرهم للحضارة فهناك ادلة كثيرة عديدة كما انها ادلة واضحة دامغة ينطوى عليها تصدر كتب المسلمين فى العلوم المختلفة لأعظم المكتبات العالمية وارقاها ولتبيان هذه الحقيقة سنعرض هنا للتراث الذى خلفـــه المسلمون فى مختلف العلوم .



شكل (٤) « الرازى يفحص مريضة »



شكل (٥)   أبو علي بن سينا

المسلمون والطب

لقد دعا محمد صلى الله عليه وسلم الأجيال المسلمة من بعده الى دراسة الطب حين قال « **تداووا عباد الله فان الله لم يضع داء الا وضعله دواء غير داء واحد قيل يارسول الله وما هو ؟ قال : الهرم .** »

ولقد كان المسلمون اول من عرف علم الجراحة واستخدامها فى الطب فلم يكن من الممكن لأى طبيب فى القرن الثانى عشر الميلادى ان يزاول الجراحة او يستعملها فى العلاج بينما كتب المسلمون مؤلفات طويلة عن الجراحة وطرقها والأمراض التى تعالج بها والآلات والأدوات التى تستعمل فيها .. ومن علماء المسلمين الذين اسهبوا فى وصف آلات الجراحة ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوى والاندلسى الذى وصف ما يزيد على مائتى شكل للآلات الجراحية

وقد انشا المسلمون مستشفيات للرجال واخر للنساء وقسموا كل مستشفى الى عدة اقسام حسب اختلاف الأمراض .. وعرفوا ايضا اقامة المعازل لمنع العدوى بالأمراض المعدية كما كان للمسلمين الفضل فى انشاء المستشفيات المتنقلة .

وكان من جراء استخدام المسلمين للجراحة لاول مرة فى تاريخ الطب ان كانوا اول من عرف علم التخدير ودراسة وسائله .

وقد نبع من المسلمين فى الطب علماء افذاذ نشير الى بعضهم اشارة عابرة .

الرازى :

وهو الطبيب المسلم المتصوف ابو بكر محمد بن زكريا الرازى الذى ولد فى آخر القرن الثامن الميلادى بالقرب من طهران وليس ادل على شهرته العالمية من ان اجمل ابنية جامعة «برنستون» الامريكية تحمل اسمه كما ان كنيسة الجامعة تحمل له صورة فى مكان الصدارة منها .

ومن حكمه فى الطب التى تعتبر اليوم اساسا لا يمكن الاستغناء عنه فى ممارسة الطب ما جاء فى قوله « **العلاج حسب نصوص الكتب بغير اعمال الفكر خطر** » وكذلك قوله « **من واجب الطبيب ان يوهم المريض ان صحته جيدة وان الشفاء قريب وان لم يثق بذلك فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس** » .

وفى دائرة الابتكار نذكر لابن الرازى انه كان اول طبيب فى تاريخ العالم ميز بين الجدرى والحصبة مع تشابه المرضين فى اطوارهما الاولى حيث يجب ان يصل الطبيب المعالج الى تشخيص

وهو كذلك اول طبيب كتب عن حصى الكلى والمثانة ..

وهو اول من وضع كتابا فى طب الأطفال ..

وهو اول من قام بالطب التجريبى فاجرى تجاربه على الحيوان ..

وقد وضع فى الطب ٢٢٩ كتابا ترجمت جميعا الى اللغات الاجنبية ..

ولقد نبغ الرازى كذلك فى علم الكيمياء وادخل فى حقل تجاربها الجديد من الأدوات والآلات وادخل فيها ايضا تقسيمات حديثة للمواد .

وقد بلغ ما الفه فى الكيمياء ١٩ كتابا وقد ناقش فى إحد كتبه « المنصورى » بل واثبت امكان تحضير الذهب من المعادن الرخيصة مما كان يعد حلما يراود المشتغلين بالكيمياء وقتذاك .

ابن سيناء :

وهو المعروف بالرئيس واسمه ابو على الحسين بن عبدالله بن سينا وهو من اصل فارسى وقد حفظ القرآن الكريم وتفقه فى احكامه ثم اتجه لدراسة الطب ونبغ فيه ولما يتجاوز السادسة عشرة من عمره ثم اشتغل بالفلسفة . ولقد اشتهر ابن سينا بمعالجة الأمراء فى مختلف بلاد العرب وذلك لنبوغه ونجاحه .

وهو اول من قال بأن المعدة تتاثر بالاضطرابات النفسية وهذا الراى احدث الآراء التى انتهى اليها الطب العصرى .

وهو اول من اكتشف الدورة الدموية فى الانسان فهو اول من قال ان الجنين يأخذ بواسطة المشيمة شريانين اثنين ويرد وريدا واحدا عن طريق حبل السرة .

وقد تحدث عن السرطان بلغة الطب الحديث فقال بامكان انقاذ المريض اذا استؤصل الورم الخبيث فى اولى مراحله .

وهو ايضا أول من اكتشف طفيل الانكلستوما والمرض الناشىء عن هذا الطفيل والمسمى بالرهقان .

وكما نبغ ابن سينا فى الطب العلاجى نبغ ايضا فى الطب النفسانى وقد بلغت مؤلفات ابن سينا فى الطب وحده ما يربو على المائة . ويعد كتابه (القانون) من اكبر الموسوعات الطبية التى عرفها التاريخ ففيه كل ما يتعلق بالطب والمرض والعلاج ويقول السير **ويليام اوسلر فى وصفه لهذا الكتاب « انه كان الانجيل الطبى لأطول مدة من الزمن » .**

واذا كان هذا هو ابن سينا الطبيب فان هناك ايضا ابن سينا الكيميائي الذى وضع بعض قوانين الكيمياء ومن اهمها ان الفلزات انواع مختلفة لجنس واحد . تماما كالحيوان والنبات .

وهناك ايضا ابن سينا الجيولوجي الذى وضع نظريات فى تكوين الصخور والجبال والحفريات اتخذت اساسا لعلم الجيولوجيا الحالي .

وهناك ايضا ابن سينا الفيلسوف .

وفى ابن سينا يقول **جورج سارتون** : « ان **ابن سينا اعظم علماء** الاسلام **ومن أشهر مشاهير العلماء العالميين** » .

واخيرا فليس هناك محل لدهشة او عجب اذا عرفنا ان لقبه كان : « حجة الحق ، شرف الملك ، الشيخ الرئيس الحكيم ، الوزير الدستور او الحسين ابن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا »

ابن رشد :

واسمه ابو الوليد محمد بن رشد وهو من علماء الطب والفلسفة وقد قسم ابن رشد الطب الى ما يشبه التقسيم الحديث .

ويعتبر ما كتبه فى الصحة الغذائية الأول من نوعه .

وفى الفلسفة يقف ابن رشد على قدم المساواة مع ارسطو وهذا ما اعترف به المؤرخون . والفلسفة الرشدية لا تحتاج الى التدليل عليها حتى انه اذا قيل فى كتب الفلسفة الشارح فقط او المعقب فهو ابن رشد بغير سؤال او استفهام .. !!

وقد عاش عملاقنا الطبيب وعملاقنا الفيلسوف فى القرن الخامس الهجرى ..



شكل (٦) ابو منصور جابر بن حيان الصوفى

Incipit liber perfecti Gebri philosophi
preclari de investigatione perfectionis ma-
gisterii, omissis prologo.
Capitulum primum de preparationibus me-
dicinarum mineralium et primo de salibus.
SAL commune dissolvitur in aquam claram
fontis et per filtrum distilletur postea in
vase vitreo vel terreo plumbato aut
metallino. SAL petre dissolvitur in aqua
fontis et per filtrum distilletur congeletur
in vase vitreo usque ad fixionem cri-
stallinam. SAL urine sic preparatur dis-
solvitur secundo vice in aqua fontis: di-
stilla per filtrum coagula sive congela in
vase vitreo. SAL gemme dissolvitur ut
primum coagulatur in vase vitreo congela
vitreo. SAL alkali uno fit de sola
dissolutione et per filtrum distillatur et coquitur
ad tertiam partem. et descendit sal
in fundo vasis in tempore ad modum
cristalli. SAL alkali fit alio modo apud
alios accipiunt cineres clavellatos partes ij
calcis vive partem i. extrahunt totam
lixivium per filtrum et congelant et hoc
iterant semel et sic est. SAL me-
talli fit cremento calcinato et dissol-
vendo et congelando et est preparatum

شكل (٧)

١) احد مخطوطات جابر بن حيان الاولى فى كتاب البحث عن الكمال باللغة اللاتينية

المسلمون والكيمياء

لم يكن للمسلمين فضل على علم من العلوم قدر فضلهم على الكيمياء حتى ان المؤرخين والعلماء يسمونها علم المسلمين . فقد وضعوا الأسس الأولى التى سار عليها علماء الكيمياء من بعدهم

والمكتبات الأجنبية تغص بكتب المسلمين فى الكيمياء ففى مكتبات فرنسا وايطاليا والمانيا اكثر من ٣٠٠ كتاب وفى المتحف البريطانى اكثر من ٨٠ كتابا اتخذت جميعا مراجع لدراسة الكيمياء .

وليست هذه الكتب بالمراجع فحسب بل انها كانت سببا فى نبوغ بعض علماء العصر الحديث وفى ذلك يقول العلامة هوليارد استاذ الكيمياء بكلية اتيون وهو اكبر اساتذة الكيمياء فى اوائل القرن التاسع عشر . ان سبب نبوغه فى الكيمياء انما يرجع الى تعلمه اللغة العربية واجادته التامة لها ودراسته للكيمياء الاسلامية من اصلها العربى .

بعد هذه الشهادة نستطيع ان نلقى نظرة على كيمياء المسلمين وعلمائها لنرى فيها مصداق قول العالم غير المسلم .

جابر بن حيان :

وهو من اجلة المسلمين ويدعى ابو موسى جابر بن حيان وكان لقبه « الأستاذ الكبير وشيخ الكيميائيين فى الاسلام » ولكثرة عمله فى الكيمياء واشتغاله بها واستخدامه فيها سميت « صنعة جابر »

وقد ولد جابر فى طرسوس او طوس من بلاد خراسان عام ٧٢١ ميلادية

وجابر بن حيان يعتبر حجة الكيمياء فى العالم بلا منازع فقد كان اول من بنى اصول الكيمياء النظرية فقفز بها من مستوى

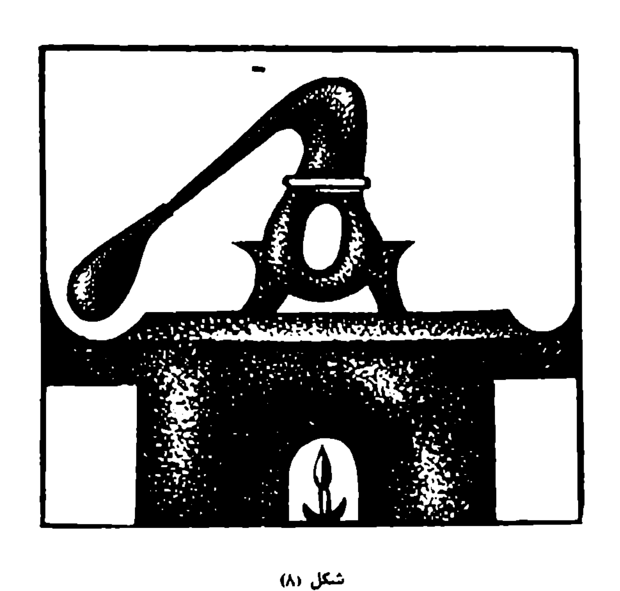
كانت سداه الاحاجي والشعوذة ولحمته الدجل والسحر الى مستوى التفكير المنطقى السليم المبنى على المشاهدات والتجربة والاستقراء وقد ظلت ابحاثه ومؤلفاته منارا لهذا العلم منذ فجر الحضارة الاسلامية حتى فجر الحضارة الاوروبية فى القرون الوسطى .

وقد الف ٨٠ كتابا فى الكيمياء ترجمت معظمها الى كافة لغات العالم ومنها اللاتينية .

وهو اول عالم على الاطلاق استعمل الميزان فى التجارب العلمية . ولنبين مدى الدقة التى كان يحوط بها عمله نذكر ان اصغر الأوزان التى استعملها هى الحبة وهى تساوى جزء من ٦٤٨٠ جزء من الرطل وهذا المقدار لا يمكن وزنه الا بميزان حساس يقارب ما نستعمله حاليا . ولقد استخدم الميزان فى اوروبا بعد جابر بما يقرب من ٦٠٠ سنة على الأقل . وقد توصل جابر الى بعض القواعد والنظريات التى توصل اليها العلماء من بعده بمئات السنين ونسبوها الى انفسهم .

ولقد حاول جابر أول محاولة من نوعها فى العالم لتحقيق حلم الأحلام عند العلماء حتى الآن وهو تحضير الذهب من مواد اولية

ولا نخوض فى تفاصيل العلم الدقيقة عن جابر بن حيان فقد وضع هو اكثر من مائتى مؤلف ونحن هنا لا نستقصى اعماله وانما نعرض لمكانته العلمية واسمه فى التاريخ ولهذه المهمة نترك العلماء والمؤرخين وننتقى قول **جورج سارتون** المؤرخ العالمى « **ان جابرا من اعظم الذين برزوا فى ميدان العلم فى القرون الوسطى** » ويقول برتيلو :**ان لجابر بن حيان فى الكيمياء ما لارسطو فى المنطق** » ويقول ليكلرك « **ان جابرا من اكبر العلماء فى القرون الوسطى واعظم علماء عصره** » .



شكل (٨)

« جهاز عربى كيميانى من مخطوط رقم ٢٥٧٢٤ بالمتحف البريطانى ومنه يظهر ان العـــرب كانوا يعرفون الحمـــامات المائية »

عز الدين الجلدكى :

وهو عز الدين على بن ابدامير بن على الجلدكى الكيميـــائى المسـلم .

وهو اول عالم نبه الأذهان الى خطر استنشاق الانســـان للفازات والأبخرة الناتجة من التفاعلات الكيمياوية .

وهو اول عالم تمكن من فصل الذهب من الفضة وغيرها من الخامات والسبائك .

ومن اهم مؤلفاته فى علم الكيمياء (نهاية الطلب) و (التقريب فى اسرار التركيب) ويقع كل منهما فى نحو الف صفحة تحوى اهم اوصاف المواد وطرق تحضيرها وتنقيتها وتفاعلاتها ونواتـــج اتحادها وحواصل فصلها .. والتغييرات التى تحدث لهـــا بالفصل او بالاضافة وكيفية المحافظة على نقاوتها وكل ما يمكن ان يعتبر اساسا للباحثين والدارسين فى علم الكيمياء . ومن مؤلفات الجلدكى ايضا نذكر « البرهان فى اسرار علم الميـــزان » وكذلك « الاختصاص ودرة الغواص فى أسرار الخواص » وهو يبحث فى خواص الحيوانات والأحجار و « كتاب جواهر الأسرار فى معارف الأحجار » و « التقريب فى الأسرار الكيمائية او التقريب فى اسرار التركيب » . وله غير ذلك من الكتب كثير .

المسلمون والطبيعة

تعتبر الطبيعيات التى كانت احدى اقسام الفلسفة الاسلامية هى أساس علم الطبيعة الحديث بكل فروعه من صوت وضوء وحرارة ومغناطيسية وجاذبية وميكانيكا .

فالمسلمون اخترعوا الآلات لحساب أوزان المواد النوعية ..
وبحثوا فى الجاذبية ...
وفى المغناطيسية ....

واستعمل المسلمون الأول الموازين الدقيقة ومما يؤكد استعمالهم لأجهزة لا تقل فى دقتها عن المستعمل حاليا ما قرره « **فلندر زتبرى** » حينما وزن ثلاثة نقود قديمة فى عهود المسلمين الأولى فوجد ان الفرق بين أوزانها لا يزيد عن جزء من ٣٠٠٠ جزء من الجرام فقال « انه لا يمكن الوصول الى مثل هذه الدقة فى الوزن الا باستعمال ادق الموازين الكيمائية الموضوعة فى صناديق زجاجية وان الوصول الى هذه الدقة لما يفوق التصور ولا يعلم ان احدا وصل الى دقة فى الوزن مثل هذه الدقة » وسنشير هنا الى بعض علماء المسلمين ونبدأ بعالم الاسلام العظيم

ابن الهيثم :

وهو الحسن بن الحسين بن الهيثم ابو على

وقد الف ابن الهيثم ٢٠٠ كتاب تقع الرياضيات والطبيعة فى ٤٦ منها وتقع الهندسة فى ٥٨ .

والحسن بن الهيثم قال بخطأ نظرية اقليدس وغيره من الذين كانوا يؤمنون بأن شعاع الضوء ينبعث من العين ويقع على المرئى فيراه الانسان .. اذ قال انما شعاع الضوء يخرج من المرئى ويقع على العين ..

وهو اول عالم طبيعى ناقش سبب رؤية الشىء واحد على الرغم من رؤيته بالعينين وقرر أن الصورتين تقعان على جزءين متماثلين من شبكة العين وقد جاء اختراع الإستريوسكوب (Stereoseope) على أساس هذه النظرية .

وقد كتب ابن الهيثم عن الضغط الجوى فى العديد من مؤلفاته وكان من نبوغة فى علم الضوء ما دفع المسلمين الى الاعتقاد بأنهم رواد هذا العلم وقادته فهو اول من قال بانتشار الضوء فى خطوط مستقيمة وان الضوء لا يرى الا بواسطة الذرات العالقة بالجو .

ودرس اسباب رؤية الأشجار والقوائم منعكسة على صفحة الماء مقلوبة الوضع فى اتجاه عمودى الى اسفل غير مائلة الى اليمين ولا الى اليسار وأمكنه استخراج قانون الانعكاس .

وقد بلغ من تمكنه من علمه ان يقول عنه المؤرخ العلمى **جورج سارتون أنه** « اكبر عالم طبيعى مسلم ومن اكبر المشتغلين بعلم الضوء فى جميع الأزمان . »

كمال الدين الفارسى :

وهو عالم طبيعى مسلم عاش فى اواخر القرن السادس الهجرى وقد استهواه ما كتبه ابن الهيثم فى علم المناظر وهو الخاص بالضوء فدرس نظرياته فوضع فيه كتابا اسماه « تنقيح المناظر لذوى الابصار والبصائر . » ويعد هذا الكتاب من أهم مراجع علم الضوء وقد ترجم الى العديد من اللغات الأجنبية .

وهو اول عالم درس قوس قزح وعلل سبب ظهوره فى السماء على شكل قوس أو قوسين متحدى المركز .

ويعتبر الفارسى حجة علم الضوء بلا منازع .

الخازن :

وهو من علماء الاسلام الذين برزوا فى وصف الموازين وله كتاب « ميزان الحكمة » وبه وصف دقيق للموازين التى كان يستعملها المسلمون فى تجاربهم ومنها ميزان توزن فيه الأجسام فى الهواء والماء . ويشتمل الكتاب كذلك على الكثير من الأوزان النوعية للمعادن والسوائل وسائر المواد الأخرى .

وللخازن أيضا نظريات فى الضوء . وقد لاحظ من الف سنة تقريبا انكسار الأجسام عند انغماسها فى الماء .

المسلمون والزراعة والنبات

يقول وليم ويلكوكس وهو من اكبر مهندسى الرى فى العصر الحديث : ان عمل الخلفاء فى رى العراق يشبه اعمال الرى فى مصر والولايات المتحدة الأمريكية واستراليا فى هذا العصر

ويقول سينوبوس : « ان المسلمين استعملوا جميع انواع الزراعة وحملوا كثيرا من النباتات الى صقلية واسبانيا وربوها فى اوروبا فاحسنوا تربيتها حتى تظنها متوطنة ومثل ذلك الأرز والزعفران والعنب والمشمش والبرتقال والنخل والهلبون والبطيخ الأصفر والعنب والعطر والورد الأزرق والاصفر والياسمين والقطن والقصب . »

ومن علماء المسلمين فى هذا المضمار نذكر .

البغدادى :

وهو موفق الدين عبد اللطيف البغدادى ويعتبر من ائمة علماء النبات والزراعة ويعتبر اول من وصف تربية الدجاج على اسس علمية من التغذية والتفريخ . بل انه قال بالتفريخ فى الحضانات

وقد ولد البغدادى فى اوائل القرن الحادى عشر الميلادى بمدينة بغداد وقد درس فى غير الزراعة والنبات الطب والفلسفة واللغة كما اشتهر ايضا بالجغرافيا والرحلات .

ابن البيطار :

هو ضياء الدين بن البيطار وقد عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى وقد اجمع المؤرخون على انه اعظم عالم نباتى بين العلماء حتى القرون الوسطى . وقد كتب عنه فى ايامه انه « ضياء الدين بن البيطار وهو الحكيم الأجل العالم النباتى اوحد زمانه وعلامة وقته فى معرفة النبات وتحقيقه واختياره ومواضع نباته ونعت اسمائه على اختلافها وتنوعها . »

وهو اول عالم اهتم بدراسة الحشائش التى تنبت فى الحقل وتضر بالمحاصيل .

المسلمون والرياضة والفلك

لقد فتح المسلمون امام العالم آفاقا عظيمة عندما اخترعوا الجبر فباختراع الجبر تفتحت مغاليق فى كثير من العلوم الأخرى .. تفتحت مغاليق فى الطبيعة .. وتفتحت مغاليق فى الكيمياء .. وتفتحت مغاليق فى الفلك .. وتفتحت مغاليق فى ابحاث المادة والذرة . والحقيقة ان علم الجبر يكون الآن قاعدة عظيمة من القواعد التى تقوم عليها العلوم فى العصر الحديث ولولا الجبر لما تمكن العلماء من التوغل فى اجواء الفضاء ولما تمكن العلماء من اطلاق صاروخ يمرق فى السماء متجها الى القمر او هادفا الى الشمس او دائرا فى فلك حول الأرض ..

وغير الجبر نذكر للمسلمين ايضا تقدمهم فى علم الفلك ولهم فيه آثار يذكرها علماء عصرنا الحديث . وهذا هو « **درابر** » يقول عن تقدم المسلمين فى الفلك « **بل رسموا خرائط النجوم المنظورة فى فلكهم ايضا واطلقوا عليها اسماء عربية لا تزال تتردد على كراتنا الفلكية** » ويقول كاجورى « (**ان العقل ليدهش عند ما يرى ما عمله العرب « يقصد المسلمين » فى الجبر**) • واذا كنا نتحدث عن الرياضة فلابد ان يقفز الى ذهننا اولا وآخرا اسم

الخوارزمى :

وهو العالم المسلم محمد بن موسى الخوارزمى وقد احتضنه المامون فى القرن الثامن الميلادى عندما بدات فى الظهور عبقريته فى

الرياضة والفلك . ولكى يكون تقديرنا للخوارزمى ولعلم الخوارزمى وعبقريته فى المكان اللائق يكفى ان نعرف ان جامعة كمبردج تحتفظ له بأصل كتاب للحساب وقد ترجم هذا الكتاب الى جميع اللغات الحية ومنها اللاتينية كما تحتفظ جامعة أكسفورد بأصل كتابه « الجبر والمقابلة » ويشتمل هذا الكتاب على حل ما يسمى فى الوقت الحاضر-بمعادلات الدرجة الثانية . وعلى باب الضرب وباب الجمع والنقصان وباب المعاملات وباب المساحة وكتاب الوصايا . وفى كل هذه الأبواب يضع الأمثلة والأجوبة عليها . وليس ادل على عظمة هذا الكتاب انه ما زال يترجم فى القرن العشرين فقد ترجم عام ١٩١٥ . واخيرا نسوق شهادة المرحوم الدكتور على مصطفى مشرفة فى هذا المجال كرجل من اجلة علماء العصر الحديث فى الرياضيات . يقول الدكتور مشرفة« **ليس الخوارزمى واضعا لعلم الجبر فحسب بل انه يتضح ان انتشار العلم فى المشرق والمغرب انما يرجع الفضل فيه بعد ارادة الله الى كتاب الخوارزمى الذى صار المرجع الاول للمؤلفين والمترجمين من عرب وأعاجم ولذلك يحق لنا ان نقول ان الخوارزمى هو واضع علم الجبر ومعلمه للناس اجمعين** »

ثابت بن مرة :

وقد عاش فى القرن الثامن الميلادى . مترسما لخطى الخوارزمى ومتمما لدراسته فقد استطاع باستعمال الهندسة ان يحل معادلات الدرجة الثالثة وقد اخذها عنه العالم الايطالى « **جيرو لاموكاردان** فى القرن السادس عشر وقد اعترف بذلك صراحة .

ولقد قام ثابت بن قرة بترجمة كل مؤلفات غير العرب من الرياضة والفلك الى العربية . كما اختصر ونقح الكتب العربية . ولا يغيب عنا ان نذكر ان علماء المسلمين الذين نبغوا فى الرياضة نبغوا ـ ايضا فى الفلك .

وقد بلغ من تقدم المسلمين فى الفلك انهم اول من وضع علم الفلك ودراسته على اساس صحيح . ويكفى ان نعرف ان مكتبة الفاتيكان تحتوى على كتاب « الزيج الصابى او علم النجوم » . كأول ما كتب فى علم الفلك . وهذا الكتاب لواحد من علماء المسلمين يقول عنه المؤرخون (انه احد العشرين فلكيا المشهورين فى العالم) هذا العالم هو ابو عبد الله محمد بن سنان بن جابر البتانى .

واشتهر كذلك فى هذا الميدان ابو يحيى البطريق ويحيى بن ابى منصور واحمد النهاوندى وموسى بن شاكر ونصر الدين الطوسى وغيرهم .

اذن يرجع الفضل الى المسلمين فى اختراع الجبر وتقدم الفلك فقد كان لهم الدافع القوى الذى سلك بهم هذا الطريق الوعر فى دقة واحكام . هذا الدافع هو آيات القرآن الحكيمة التى نبهت الإنسان الى السماء مثلما نبهته الى الأرض ووجهت عينه الى السماء تاملا فى قدرة الله وحكمته واطلقت عقله بين النجوم والكواكب ليعيش فى قلب الكون .. فى اعلى الآفاق . وقد اثمر تجوال البصر كما اثمرت موجات الفكر حيث اهتدى المسلمون الى ما اتاح لهم قصب السبق فى الفلك والرياضة .

المسلمون والتاريخ والجغرافيا

ولسنا فى حاجة الى الحديث فى هذا الشأن لأن اهتمام المسلمين بالتاريخ والجغرافيا كان امرا محتوما تحتمه الحوادث وتمليه الظروف وذلك من وجهين .

الوجه الأول : الفتوحات العظيمة التى قام بها المسلمون . فقد استطاعوا ان يصلوا الى تاريخ الكثير من الأمم من جذورها ومن مواطنها الأصلية .

والوجه الثانى : هو طبيعةالدعوة والعقيدة التى كانوا يؤمنون بها . فقد كان من الضرورى لنجاحهم فى مهمتهم ان يكونوا على دراية واسعة وعلم عميق بتاريخ مختلف الأمم فى مختلف العصور والأزمنة . وفى شتى الأماكن والبقاع . وذلك للصلة الوثيقة بين العقائد والمبادىء ودراسة التاريخ فهذه الدراسات تسهل اليهم الدعوة الى دينهم .

وكانت دراسة الجغرافيا على الأسس العلمية السليمة ضرورة اجتماعية تحتمها ايضا طبيعة دعوتهم . فقد كان لابد لهم من الاتصال بالناس فى كل مكان لتبليغهم الدعوة وقد كان ذلك يتطلب منهم دراسة طرق المواصلات ووسائلالاتصال بين الأمم .

وقد نبغ من المسلمين من يقف فى القمة مع اعظم العلماء فى وقتنا الحاضر وعلى راس هؤلاء

ابن خلدون :

ويكفى ان يذكر اسم ابن خلدون ليتحدث عن نفسه أو ليتحدث عنه اعظم العلماء وهذا هو العلامة « **روبرت فلنت** » بجامعة ادنبرة يقول (لا العالم الكلاسيكى فى القرون القديمة ولا العالم المسيحى فى العصور الوسطى يستطيع ان يقدم اسما يضاهى فى لمعانه اسم ابن خلدون فان من يقرا المقدمة فى اخلاص ونزاهة لا يستطيع الا ان يعترف بأن ابن خلدون يستحق لقب مؤسس علم التاريخ وفلسفته)

وقد فرق ابن خلدون بين النظرة السطحية للتاريخ التى ترى منه مجرد أخبار او وقائع وبين النظرة العميقة التى تصل الى كيفية الوقائع واسبابها . ومن يريد ان يعرف من هو ابن خلدون فليرجع الى تراثه الذى خلفه وعندئذ سيعرف ايضا ماهو التاريخ وما هى فلسفة التاريخ .

الشريف الادريسى :

وهو ابو عبد الله محمد الشريف الادريسى وهو عالم مسلم ويعتبر اشهر الجغرافيين على الاطلاق فى العالم فى القرون الوسطى . **ان كتاب الادريسى فى الجغرافيا اعظم وثيقة علمية جغرافية فى القرون الوسطى** » . هذا هو كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » وقد جاء هذا الكلام فى دائرة المعارف الفرنسية وعن هذا الكتاب ايضا يقول العلامة البارون دى سلان . (ان كتاب الادريسى لا يمكن ان يوازن بأى كتاب جغرافى سابق له وان بعض اجزاء من المعمورة لا يزال هذا الكتاب دليل المؤرخ والجغرافى فى الأمور المتعلقة بها .)

هذا بعض ما قيل عن كتاب الادريسى .

فما ذا قيل عن الادريسى نفسه ؟ يقول المؤرخ جوتيــــه (**ان الشريف الادريسى الجغرافى كان استاذ الجغرافيا الذى علم اوروبا هذا العلم وظل معلما لها ثلاثة قرون . ولم يكن لأوربا مصـــور للعالم الا ما رسمه الادريسى .**)

وقد وضع الادريسى خريطة للأرض صنعها من الفضـــة الخالصة وهى تزن ٤٠٠ رطل وتعتبر الأولى من نوعها . وقـــد أوضح عليها الأقاليم والبلدان والأنهار والبحار . ومن بين مـــا احتوى عليه كتاب الادريسى منابعالأنهار الهامة ومصابها ودرجات الحرارة فى الفصول المختلفة . وقد طبعت من هذا الكتاب خريطة متقنةوملونة عام ١٩٣١ ميلادية باللغة اللاتينية وطبعتمنها نسخة عربية عام ١٩٥١ ميلادية .

وقد قسم الادريسى الأرض فى كتابه حسب خطوط العرض وكان أول من قسمها حسب خطوط الطول .

هذه بعض لمحات عن العالم العظيم الشريف الادريسى .

بعد هذه اللمحة قد اشرنا لأعظم عالمين فى تاريخ الاسلام فيما نحن بصدده ابن خلدون فى التاريخ والادريسى فى الجغرافيا .
غير ان هناك الكثير من العلماء الذين ابلوا احسن بلاء فى هذا الصدد . نذكر منهم ابو الريحانى البيرونى وابو عبدالله القزوينى الذى احتار المؤرخون فى اى علم يوضع على راس علمـــائه . والأسطخرى . واليعقوبى والمسعودى والطبرى وابن الأثير وابن فضلان . والصفدى والبكرى وابن عساكر . وابن سعيد وابـــن خوقل وي'توت ومئات غيرهم لا يتسع المقام لذكرهم .

المسلمون والرحلة والاستكشاف

لو فتشنا فى تاريخ الرحلات الكشفية على مر العصور من آدم عليه السلام حتى يومنا هذا لما وجدنا رجلا واحدا يتالق اســـمه كما يتالق اسم رحالتنا المسلم .. اقول رحالتنا المسلم فقط وكلنا يعرف انه ...

ابن بطوطة :

وهو عبد الله اللواتى الطنجى والمعروف بابن بطوطة . ولد عام ٧٠٢ هجرية وقد غادر وطنه ولما يبلغ الثانية والعشرين . وبعدها خرج مرتحلا ليجوب العالم وقد وضع لنفسه هدفا هو الكشف ودراسة الجغرافيا وظل كذلك حتى بلغ الخمسين . لقد مر ابن بطوطة بالجزائر وتونس وطرابلس ووصل عن طريق البحر الأبيض الى الاسكندرية . ثم دمياط ورحل بعدها الى فلسطين عبر الطريق الصحراوى بينها وبين القاهرة . ثم الى لبنان وسورية . ثم ادى فريضة الحج وبعدها رحل الى العراق ثم ايران وعاد الى العراق لدراسة أحواله حتى حل موسم الحج مرة اخرى ثم اخرى ثم ثالثة . ثم ارتحل فى رحلته الطويلة الى شبه جزيرة القرم ثم القوقاز وعزم على زيارة ارض الظلمة (شمال روسيا) فكان بذلك اول رحالة فى العالم فكر فى هذه الرحلة ولكنه لم يستطع ان يتمها لأسباب خارجة عن ارادته . وبعد ذلك عاد الى بلاد الروم وسافر الى خوارزم ونجارى ثم الى سمرقند وبلغ ونيسابور وكابل ودخل بلاد الهند عام ١٣٣٣ ميلادية . حيث اقام تسع سنوات لدراسة احوالها ثم ارتحل بعدها الى الصين ثم الى جزيرة الملديف فجزيرة سيلان ثم ساحل الهند الشرقى فالملايو فسومطرة . واستأنف سفره الى الخليج الفارسى والعراق ثم وصل الى دمشق . وفى عام ١٩٣٤ ميلادية سافر من مصر الى تونس الى طنجة ثم زار الأندلس وبدا رحلته الى السودان وتعتبر رحلته هذه اول رحلة قام بها انسان عبر الصحراء الكبرى .

والآن بعد سرد هذه الرحلات التى وقعت فى عدد من السنين يبلغ الثمانية والعشرين وفى وقت كانت وسائل المواصلات هى الدواب فى البر والسفن الشراعية فى البحر . يمكننا ان ندرك

للحظة الأولى انه لا مثيل لابن بطوطة فى التاريخ القديـــم ولا فى التاريخ الحديث سواء .

على ان ابن بطوطة لم يكن العالم المسلم الوحيـــد الذى اشتهر بالرحلات والاستكشاف . فهناك غيره عشرات وعشرات نذكر منهم على سبيل المثال **سلام الترجمان** فى عهد الخليفـــة العباسى الواثق بالله وابو عبد الله البشارى المقدس .

ولم تكن هذه الرحلات جميعا التى قام بها الرحالة المسلمون لتتم عبثا فقد انطوت على الكثير من المعارف والعلوم وكانت زادا يأخذ منه كل طالب علم وقاصد معرفة .

وبعد فقد عرضنا من آثار المسلمين ما يكفى لبيان المدى الذى استجاب فيه المسلمون لدعوة القرآن ولدعوة محمد عليه السلام الى العلم . ولبيان القوة التى دفعهم بها الاسلام والتى اندفعوا هم بها مستجيبين لدفعة الاسلام . فلم يكن المسلمون عبئا ثقيــلا يحتاجون الى دفعات ودفعات ليرتقوا درجة فى سلم المجـــد او يتقدموا خطوة فى طريق العرفان ولم تكن دفعة الاسلام قوة خارجة عنهم تدفعهم من خلف بارادتهم او بغير ارادتهم ، ولم يكونـــوا متثاقلين حتى تأتى خطواتهم عثرات فى طريق شاق طويل .

لقد كان الاسلام منهم قوة داخلة تدفعهم او يندفعوا بها من تلقاء انفسهم فى خطى ثابتة وباقدام راسخة نحو هدفهم المنشود وغايتهم المرجوة فقد كانوا متشربين بروح الاسلام ومهتدين بهدى الاسلام فى مأكلهم ومشربهم .. فى يقظتهم ومنامهم .. فى ملبسهم ومظهرهم .. فى غدوهم ورواحهم .. حتى لقد كنت تقـــرا عن المسلمين فتحسبك تقرا عن الاسلام . وتقرا عن الاسلام فتحسبك تقرأ فى تراجم المسلمين ، لقد تعانق الاسلام والمسلمون عناقـــا شديدا وعناقا حارا عز عليهما من بعده ان يفترقا فاصبحا شيئا واحدا واصبح المسلمون مسلمين تجرى عروقهم بالاســـلام بدل

الدم وتتأجج نفوسهم بالاسلام الذى غلب على كل عاطفة . وتغلى صدورهم بالاسلام الذى ملك منها كل جوانبها وتمتلىء قلوبهم بالاسلام الذى استقر فى سويدائها .

هكذا كان المسلمون وهكذا كان الاسلام منهم . فلم يكن عجبا ان تتفتح الأعين لتجد فوق كل قمة علما من أعلام الاسلام ولم يكن عجبا ان يستيقظ الناس وقد تربع المسلمون على عرش المجد . عرش العلم والمعرفة .

ورب ساخر يقول .. وكيف حال المسلمين اليوم ؟؟ ... واين اعلام المسليمن فى هذه الايام . .؟؟ واى قمة يتربعون عليها او يجلسون على عرشها ولا أرد الا قائلا .. بل أين هم المسلمون ؟؟ .. نعم أين هم المسلمون ... ؟؟ وانظر هنا .. وانظر هناك ... فلا ارى الا بصيصا من نور واذا به اشعاع المسلمون الأوائل عبر الأزمان والقرون . نعم لا ارى الا بصيصا من نور يحاول ان يهتك استار الظلام ويبدد ظلمة الايام

واذا كان مسلمو الامس يشعون نورا فاى سبب اذن لهذا الظلام ... ؟؟

نعم اذا كان مسلمو الامس فى اعلى قمة فاى شىء يجعل مسلمى اليوم فى اسفل درك .. ؟؟

واذا كان مسلمو الامس فى الطليعة التى لا يدانيها احد فلماذا مسلمو اليوم فى المؤخرة التى لا يتخلف اليها أحد .. ؟؟

كل هذه الأسئلة الصريحة كان لابد منها . لابد ان يوجهها المسلم لنفسه ولاخوانه قبل أن يقدمها اليهم أعداؤهم من باب السخرية والتبجح أو التهكم والتندر

وبهذه الصراحة التى تنطلق بها هذه الاسئلة ستكون الاجابة فى الصفحات القادمة .

الفصل الثامن
لماذا تخلف المسلمون

ان اسباب تخلف المسلمين بعيدة الاغوار عميقة الجذور . وهى نابعة من انفسهم،قبل ان تكون مسلطة عليهـــم . وهى اذا كانت مسلطة عليهم فهى مسلطة على نفوسهم وعقولهم حتى تضل السبيل فتسير فى غياهب التيه والظلمات .

ان اكبر هذه الأسباب هو ما نبت من اعماق نفوس المســـلمين عندما تفتحت امامهم الحياة وتدفقت امامهم مباهج الدنيا وغرهم بريق الذهب وذهب بابصارهم وهج الترف والبذخ فقصرت دون رؤية الأهداف وعميت بصائرهـــــم دون ادراك الغايات . وبدأ الاسلام يطفو فى قلوبهم بعد ان كان يملك سويدائها .. واخـــذ يجف من عروقهم بعد ان كان يجرى فيها .. واخـذ ينحصر فى نفوسهم وصدورهم بعد ان كان ملء رحابها وارجائها .

وهكذا أصبحوا فى مهب الريح .. نســـمة تذهب بهم ذات اليمين واخرى تذهب بهم ذات اليسار . فكانت الفرصة المواتية لأعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر ويترقبون منهم الثغـــرات وكانت هذه الفجوة الكبيرة لا الثغرة الصـــغيرة التى تفتحت فى نفوس المسلمين كافية لتدفق اعدائهم الى اعماقهم يقلبوا فيهـــا كيف شاءوا ومتى شاءوا .

لقد بدأ المسلمون يتجرعون الكاس المرة التى نعانى منها حتى هذه الايام فقد اخذت تتسرب الى نفوسهم الاسرائليات وهى لهم بمثابة السم الناقع والمرض الخبيث . فقد كان اليهود اعـــدى أعداء الاسلام منذ ولد الاسلام . منذ كانت دولته فى المدينة علـى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وظلت الصهيونية تكيـد للاسلام منذ تلك اللحظة وستظل تكيد له حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ولهذا فقد كانت الفجوة التى تفتحت فى نفـــوس المسلمين هدفا يركز اليه اليهود والصهاينة ضرباتهم بسهام من الاســرائيليات المسمومة التى تجد طريقها سهلا ميسرا الى اعماق المسلمين ..

لقد دس اليهود والصهاينة على سيدنا محمد (ص) ما ليس من كلامه وادخلوا على الاسلام ما ليس منه وامتلأت كتاباتهـــم بالمفتريات على دين الاسلام واثارة الشبهات التى لا تمت اليه بصلة وتقولوا عليه بما هو منه براء . وكان اليهود يقصـــدون بذلك تحويل المسلمين عن الوجهة التى يوجههم اليها الاسلام . وقــد كانوا يلجأون فى سبيل ذلك الى افساد عقائد المسلمين واضعاف نفوسهم حتى يتم تحويلهم عن الطريق بارادتهم . لهذا الفـرض قصد الاسرائيليون .. ولهذا الفرض كتبوا كتاباتهم المضللة . ولقد كانت كتاباتهم كلها تدور حول محور واحد هو حصر الاســلام فى دائرة ضيقة الحدود يدور فيها المسلمون حول انفسهم فلا يتقدمون خطوة ، ومهما انطلق المسلمون فهم ينطلقون فى الدائرة التى رسمها لهم الصهاينة . هذه الدائرة هى العبادات .

لقد قال الاسرائيليون ان الرهبنة والانقطاع للعبادة هى دعامة الاسلام الأولى .

وقالوا ان المسلم الذى يريد أن يضمن الجنة ويتجنب النـار عليه ان يوفر جهده فى العمل ليفرغه فى العبادة .

وقالوا ان الله لا يجزى عن العمل مثل ما يجزى عن العبادة

لقد كانوا يقولون فيما يلفقون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عبادة العابد خير الف مرة من عمل العامل ، وان الانصراف عن الدنيا بكل ما فيها من خير وشر هو ضمان للآخرة هذا هو ما كان يتقوله الاسرائيليون ويحشون به كتاباتهم ويفترون به الكذب على الاسلام ، وقد كان ذلك يلقى القبول عند الكثير من المسلمين الذين تهيات قلوبهم لمثل هذه البدع التى تحمل عن اكتافهم عبء العمل والجهاد فى سبيل الدعوة . ونسوا أن الاسلام علم وعمل .. ودين ودولة .. وعقيدة وجهاد .

نسوا ان حياة المسلم كلها عبادة ما دام يتوجه فى حياته كلها الى الله .

فاكله بسم الله عباده .. ومشربه عباده .. ونومه عبادة .. ويقظته عبادة .. سيره الى المسجد عبادة .. عيادته للمريض عبادة .. لقاؤه لأخيه فى الله عبادة .. تفكيره فى خلق الله عبادة .. وسرحاته فى ملكوت الله عبادة .. وكل عمل يعمله عبادة .. وعبادة العبادات تحصيله للعلم ابتغاء وجه الله .. وسعيه فى العمل واجتهاده فيه ابتغاء مرضاة الله .

هذا هو الاسلام كما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام . وذاك هو الاسلام كما شوهته الاسرائيليات المسمومة .

ولقد افسد المسلمون عقيدتهم بأنفسهم عندما استهوتهم هذه الاسرائيليات واستجابوا لها .. فكان ذلك أول معول عمل على تقويض الصرح الذى شيده المسلمون الأوائل وهدم المجد الذى سلموه لخلفائهم فلم يستطيعوا الحفاظ عليه .

هذه هى العلة الاولى التى سرت فى نفوس المسلمين

اما العلة الثانية فقد كانت ايضا نتيجة لنفس الأسباب التى ادت الى العلة الأولى . وهذه العلة الثانية كانت مرضا كامنا فى

النفوس قبل الاسلام وقد عاودت الظهور عندما اخذت شمس الاسلام الأصيلة تغرب عن قلوب المسلمين التى أصابها المرض وانهكتها العلل . وهذا المرض أو هذه العلة الثانية هى العنصرية البغيضة التى يمقتها الله ورسوله .

فأين هذه العنصرية من قول الله عز وجل (**يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير .**)

واين هى ايضا من قول الرسول صلى الله عليم وسلم (**لا فضل لعربى على جمعى ولا لابيض على اسود الا بالتقوى**) وقوله كذلك (**اياكم وعبية الجاهلية .**)

لقد كان من آثار هذه العنصرية ذلك الصراع العنيف الذى دارت رحاه فى قلب الدولة الاسلامية سنينا طويلة . فانصرف المسلمون عن العلم والعمل الى التناحر والتشاحن .

هذه هى العلة الثانية لتأخر المسلمين ..

واما العلة الثالثة وهى القشة التى قصمت ظهر البعير فهى الاستعمار الذى استطاع ان ينفذ بجنوده الى شتى البقاع الاسلامية . وهنا أسلم له المسلمون القياد وجاء بعد الاستعمار العسكرى استعمار أبشع منه وانكل .. ذلك هو الاستعمار الفكرى .. الاستعمار المذهبى . لقد جاء المستعمرون بجنودهم ليمهدوا الطريق امام عقائدهم الفاسدة وافكارهم المتحللة فزادوا المسلمين ضعفا على ضعف وانحلالا على انحلال وهوانا على هوان . ثم ماذا .. ؟؟ دارت الايام . والاستعمار ينخر فى عظام البلاد الاسلامية ويقوض ما تبقى لها من دعائم ويسد امامها طريق القوة والرشاد وسبيل القوة والتقدم . لقد استطاع الاستعمار ان يحول انظار المسلمين عن دعوتهم ويصرف قلوبهم عن عقيدتهم .

اذن لقد خسر المسلمون تلك الدفعة العظيمة التى كانت تدفعهم فى طريق العلم .. خسر المسلمون ما كان راسخا فى قلوبهم من كتاب الله فنسوا القرآن ونسوا دعوته الى العلم وحثه عليه .. ونسى المسلمون دعوة نبيهم وفيما نسوا دعوته اليهم للعلم والكفاح فى سبيل العلم .. والمجاهدة والمثابرة على العقبات الكاداء التى تقف لهم فى طريقه .. كل هذا نسيه المسلمون وانصرفوا الى شهواتهم بعد أن سلبهم المستعمر ما تبقى من ارادتهم .

ثم ماذا .. ؟؟ كان الغرب المتاخر قد بدا يخطو خطواته الواسعة فى ميدان العلم والحضارة . بعد أن تعلم من تراث المسلمين الأوائل واخذ منهم دعامة الحضارة الحديثة التى دفعت به الى الأمام ليسبق المسلمين بأشواط بعيدة ، وليتربع على كل القمم التى كان يتربع عليها المسلمون فى ميدان العلم وكان لابد ان ينزل المسلمون الى الهوة السحيقة التى كان يقبع فيها الغرب المتاخر قبل أن يتدرج صاعدا الى تلك القمم .

ثم ماذا .. ؟؟ كانت الطامة الكبرى التى اتت على ما تبقى فى نفوس المسلمين من تمسك بالاسلام واجلال له فقد كان المسلمون يتعلمون فى مدارس المستعمرين ويتلقون العلم على أيديهم فعلموهم فيما علموهم أن الاسلام هو سبب تأخرهم وعلة تخلفهم ولابد لهم من تركه والتخلى عنه حتى يستطيعوا الانطلاق فى ركب الحضارة وموكب المدنية وصدق المسلمون أعداء الاسلام وخدعتهم نصائح أعدائهم وتحول منهم من تحول الى دمى متحركة يحركها الأعداء بمشيئتهم بعد ان تسلطوا على عقولهم وحرموهم من ارادتهم .

هذه هى العلل الثلاثة الرئيسية التى اخذت بتلابيب المسلمين وقذفتهم من قمة الجبل الذى صعدوه الى الدرك الأسفل الذى لا يعلم مداه الا الله .

وهكذا فقد المسلمون كل الدعائم التى قامت عليها حضارتهم وعلومهم الأولى وكلها تنبع من الاسلام كعلم وعمل .. ودين ودولة .. وعقيدة وجهاد .. والتى تنبع من الاسلام كينبوع للمعرفة الانسانية جمعاء . اذن لقد فقد المسلمون دينهم ودنياهم فى آن ، وخسرت بخسارتهم البشرية ايضا

والآن لابد ان تطرق الأذهان هذه الخواطر .... هل سلك الغرب طريق الاسلام عندما أخذ يتسلم القيادات فى شتى العلوم من ايدى المسلمين .. ؟؟ ، ثم ما هى الوجهة التى يتجهها العلم الحديث فى هذه الأيام . .؟؟ وهل تتفق مع وجهة الاسلام ... ؟؟ هذه الخواطر هى ما سنعالجه فى الفصل التالى .

الفصل التاسع
وجهة العلم الحديثة في نظر الاسلام

ذكرنا فى مقدمة البحث ان اداة الخير يمكن ان تستخدم اداة للشر سواء . وابرز مثال لذلك هو ما نحن بصدده فى هذا البحث .. هو العلم .

فالعلم يمكن ان يستخدم اداة للخير .. وهو ايضا يمكن ان يستخدم اداة للشر . يمكن ان يستخدم اداة للسلم ويمكن ان يستخدم اداة للحرب .. يمكن ان يستخدم اداة للعز والرفاهية ويمكن ان يستخدم أداة للذل والفقر .

والسؤال الذى لابد ان يقفز الى الذهن فى التو واللحظة هو : كيف يمكن ان يتجه العلم الى نقيضين وكيف يمكن ان يتخير احد الطريقين . والاجابة على هذا السؤال تعتمد على فهم العلم على وجهه الحقيقى .. فليس العلم بمبدأ من المبادىء وليس العلم بعقيدة من العقائد يمكن أن توجه البشرية الى هذه الوجهة او تلك أو تسير بالانسان الى هذا الطريق او ذاك .. وانما هو اداة او وسيلة لهذا المبدأ أو تلك العقيدة .

وكما أن هناك مبدأ صالح ومبدأ فاسد .. مبدأ يدعو الى الخير ومبدأ يدعو الى الشر .. مبدأ قائم على الفضيلة ومبدأ

قائم على الرذيلة .. مبدأ متجه الى الله ومبدأ متجه الى الشيطان فكذلك لابد أن يكون العلم .. لأنه أحد الوسائل التى تتحقق بها أغراض المبادىء بخيرها وشرها .

مبدأ تملكه الشيطان لابد ان يفكر أصحابه بعقل الشيطان ولابد ان يكون نتاجه من نتاج الشيطان .. وهل ينتج الشيطان الا قذرا .. ؟؟ وهل ينفث الشيطان الا شرورا .. ؟!! فى هذا المبدا يقوم العلم بدور الشيطان .

وعقيدة تقوم ركائزها على الفضيلة لابد ان يفكر اصحابها فى اطار الفضيلة ولابد ان يكون نتاجها من نور وفى ظل هذه العقيدة يقوم العلم بدور السراج الذى ينير الطريق أمام الناس فلا يسيروا الا فى النور ولا يتجهوا الا الى نور .

ونريد الآن أن نضرب مثالا للعلم عندما يتجه الى نقيضين فى ظل مبدأ وعقيدة متناقضين .

مبدأ ينبع من حماة الشرق اقبح صورة ..

وعقيدة تتجه الى الخير فى اسمى معانيه ..

ونبدأ بمبدأ الشر لننتهى الى عقيدة الخير . ولكى يكون المثال الذى نتحدث عنه ناطقا بصدق ما نقول انتقينا المبدأ الذى تجمعت فيه كل الشرور التى دونها كل شر . وانتقينا العقيدة التى تجمعت فيها كل عوامل الخير التى لا يدانيها خير .

وكما قلنا سنبدأ بمبدأ الشر .. ولا نجد مبدأ يجمع على اكمل وجه كل انواع الشرور على اقبح صوره مثل ذلك المبدأ الفاسد الذى يسمى بالشيوعية .. والذى ابتليت به البشرية فى النطاق النظرى فى القرن التاسع عشر ثم فى النطاق العملى فى القرن العشرين ولقد وقع اختيارنا على المذهب الشيوعى لأسباب عدة اهمها :

اولا : ان الشيوعية دعوة قائمة باسم العلم (بصرف النظر عما تنطوى عليه من أخطاء علمية جسيمة) ويزعم دعاتها ان مذهبهم قائم على العلم ومستمد من النظرة العلمية الواعية للتطـــورات الانسانية وللطبيعة البشرية . والواقع ان هذا الستار التى تختفى الشيوعية من خلفه قد بهر عقول الكثير من الشباب المثقف الذى تخلى عن العقيدة باسم العلم وارتمى فى أحضان الشيوعية ايضـا باسم العلم .

وليس ادعاء الشيوعية لنفسها بسند من العلم دليـــلا على صدق دعواها او برهانا على صحة نظرتها . وانما هو ادعاء .. مجرد ادعاء لا أكثر من ذلك ولا أقل وسيظل كما هو ادعاء تعوزه الحجة العلمية والدليل العلمى

ثانيا : ان الشيوعية تسيطر اليوم على أكثر من نصف العالم فكان لابد لنا فى هذا المقام من ازاحة الستار عن وجهها الحقيقى لبيان الوجهة الخطيرة التى يسير اليها العلم فى ظل هذا المذهب الخطير .

ثالثا : ان الشيوعية استطاعت ان تسيطر على هذه الرقعـة العظيمة من العالم فى فترة وجيزة تقرب من النصف قرن وانهـــا كذلك لا تزال فى فترة المد التى تطمع معها ان تبسط سلطانهـا على رقعة أكبر .

لهذا الذى تقدم كان لابد لنا أن نبين الى اية هوة ســـحيقة طوحت الشيوعية بالعلم وأى طريق وعر سلكته بالعلم وســـط الظلمات

لقد كان العلم قناعا تتستر وراءه الشيوعية محاولة اثبـات صدق نظرياتها الفاسدة ثم أصبح العلم بعد فشلها فى ذلك وسيلة جبارة لقهر الناس واجبارهم على الدخول فى الشيوعية بغيـــر ارادتهم وعلى خلاف مشيئتهم . **فبدل أن يكون العلم وســـيلة لرفاهية الشعوب التى تقع تحت سيطرة الشـــيوعية وبدل ان يستخدم العلم كوسيلة لرفع مستوى المعيشة بين الناس**

ومع تسخير العلم كان أيضا تسخير الناس لخدمة الأغراض ذاتها بعد ان خلعوا عنهم رداء الانسانية .

المبدا الشيوعي يريد ان يسيطر على العالم .. لينضوى تحت لوائه الناس أجمعون .. اذن لابد من تسخير العلم للشيطان لابد من تسخير العلم لصناعة الأسلحة .. لابد من تسخير العلم لصناعة الدمار والخراب .. لابد من تسخير العلم لسحق اعداء الشيوعية .. أو لابد من تسخير العلم لتحقيق السلام ، والسلام عندهم هو الدمار على أوسع نطاق ..

ولكن الطاقات المادية لا تكفى لتحقيق اغراضهم واحلامهم مادام الناس يحتفظون بانسانيتهم وآدميتهم .. اذن فلتذهب الانسانية .. ولتنهزم الآدمية ، ليتحقق النصر للشيوعية وليتحول الانسان الى آلة صماء تعمل بغير ارادة وتتحرك بغير مشيئة اللهم ان كانت ارادة الأسياد او مشيئة الشياطين الذين يتربصون بالانسانية الدوائر

هذا هو مبلغ علمهم الذى يسخرونه فى خدمة الشر فى اقبح صوره عندما استخدمه مبدأ فاسد لا يعترف بالانسان الجسم والروح وانما يعترف بالمادة والآلة الصماء .

فى هذه اللحظة بالذات لابد من اظهار العلم فى ثوبه القشيب حين تتبناه دعوة انسانية وعقيدة سماوية تشمله بالخير من كل جانب وتدفع عنه الشر من كل صوب . دعوة سماوية من عند الرحمن الذى اراد للانسانية الخير والخلاص ..

هذه العقيدة وهذه الدعوة هى الاسلام ، وقد ذكرنا فى الفصول السابقة آثار الاسلام والمسلمين فى العلوم . فهل راينا فيه بارقة من شر .. ؟

لقد سمعنا عن علماء المسلمين يفتحون الآفا بعد الآفاق فى طريق العلم الشريف .. علم الانسانية جمعاء وعلى الناس اجمعين .. علم الرفاهية .. وعلم الرخاء .. ثمرة العقل الانسانى السليم لا ثمرة العقل الشيطانى الأثيم .. علم العقيدة والايمان لا علم الكفر

والالحاد .. على الانسان المدرك الواعى الذى يعلم انه مهمـا بلغ فهو عبد الله .. لا علم الانسان الضال الجبار الشرير المتكبر الذى لا يرى الله ويغمض عينيه دون سناه .. هذا العلم ما كان أبدا ليعرف الشر وهو الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة أى عبادة يتقرب الناس بها الى ربهم . وهل يتقرب الناس الى ربهم الا بالخير .. وكيف يعرف العلم عند المسلمين طريق الشر وهو الذى وصفه الرسول الكريم بأن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح .. فأين ينبع الشر فى هذا الطريق الذى تحفه خشية الله وعبادته وتسبيحه والتقرب اليه . .؟

« ولقد يخطر على البال أن علوم المسلمين لم تستخدم فى الشر لأنها كانت بدائية بسيطة لا تصلح للبشر اذا قيست بطاقة الذرة وعلوم التدمير فى القرن العشرين

والواقع ليس كذلك فان علوما أدنى من علوم المسلمين وابسط فى مصر الفرعونية وبابل وآشور كانت تقدر على الشر وتستخدم فيه . فقد استخدم الكهنة فى مصر القديمة وكانـوا فى اغلب الاحيان هم العلماء ـ استخدموا معارف الكيمياء والطب والنجوم فى السحر ـ والاستحواذ على الأموال بالباطل والتوصـل الى السلطان المطلق على القلوب والأرواح والأجسام والعقول والتحكم فى كل أمور الناس بالعبودية والاذلال .

وكانوا يستأثرون بهذا العلم لا يبيحونه للناس ايثارا لانفسهم بالنفع استحواذا على السلطان الكافر الذى يذلون به العبيد .. عبيد فرعون وعبيد الكهان وهم « الشعب » كله بلا تفريق .

ولو أراد المسلمون أن يستخدموا العلم للشر فلم تكن لتمنعهم بساطة علومهم ولا لتعجزهم عن عمل السوء ..

أقرب الشر أن يصرفوا به القلوب عن الله .. وان يضحكوا به على السذج والجهلاء فينالوا المال المتدفق وينالوا السلطان وان يحبسوه عن العامة

وان يتزلفوا به الى الملوك والسلاطين
وان يلتووا به ليبرروا مظالم السلطان
هذا هو التاريخ .. صفحة مشرقة مضيئة تشهد أن العلم الاسلامى لم يسع للشر ولم يستخدم له . »

ذلك لأنه لم يعد فريضة وانما مطية من مطايا الشهوات)

ذلك فريضة الى الله . يتقرب بها العلماء الى حماه ..

بعد تفصيل روح الشيوعية الهدامة وروح الاسلام البناءة وعلاقة كل منهما بالعلم نكون قد ضربنا مثالا واضحا للعلم عندما يتجه الى نقيضين فى ظل مبدأ وعقيدة متناقضين .

ولكى يكتمل الكلام فى هذا الفصل داخل الاطار الذى وضعناه له وهو « **وجهة العلم الحديثة فى نظر الاسلام** » ينبغى ان نشير الى العلم فى العالم الغربى . والواقع ان العلم فى العالم الغربى يتجه وجهة تخالف وجهة العلم فى الاسلام لأنه ليست له عقيدة مؤمنة تدفع به الى السمو والكمال ، ولا هو يهدى الناس الى مثل هذه العقيدة .

ولقد اوضح هذه الحقيقة بجلاء الأستاذ محمد قطب اذ يقول : (فمنذ حدثت هذه الفرقة العنيفة بين الدين والعلم فى اوروبا .. منذ سار كل منهما فى طريق يخالف الآخر ويناصبه العداء .. شملت الغرب كل فلسفة مادية ملحدة كافرة . لا تؤمن بالله ولا تحكمه فى امر من امور الحياة وفى امر العلم خاصة من بين كل أمور الحياة . ومضت الموجة التى اطلقها دارون تأخذ آخر مداها .. فتحرف من طريق العلم كل التراث الانسانى الخالد مع عقيدة واخلاق وتقاليد .. وطلع الى الوجود من بعد دارون فرويد وماركس يلوثان العقيدة ويصوران النفس الانسانية صورة بشعة مليئة بالاقذار .. اقذار الجنس عند فرويد واحقاد الصراع الطبقى عند ماركس ..

وطلع علماء كثيرون فى الطبيعة والكيمياء والفلك والرياضة والطب مشتملون على عبقريات جبارة ويفتحون آفاقا جبارة فى هذه العلوم . ولكنهم مع الأسف يرفضون السير فى طريق العقيدة وينكبون عن هداية الله .

ولقد دعت أوروبا جانبا واحدا من الدرس حين اختلطت بالمسلمين فى الأندلس ونقلت عنهم المعارف وطريقة الدراسة .

اخذت عنهم الجد والقصد والعزيمة ، والصبر والجلد والكفاح ..

أخذت عنهم احترام العلم والتوفر على البحث والاخلاص فى الدراسة ..

ولكنها ابت ان تأخذ الله .. وتأخذ العقيدة ..

واذ تخلى العلم عن الله فقد تلقفه الشيطان .. وسار به فى طريق الشر وأبعد فى طريق الضلال .)

(أول الشر ان العلم منحة الله الى الانسان يصبح اداة فى طريق الكفر ويبعد الانسان عن الله .

والعلم . النور الذى يهدى الانسان الى الحق يصبح ذريعة الناس الى الباطل فى كل منحى من مناحى الحياة . فى البحوث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والادبية والفكرية والروحية وكل بحث من البحوث ..

والعلم الذى يعرف به الحلال والحرام يصبح اداة الفسق والخروج على الأخلاق بنظريات « علمية » تزيد الفساد .. !

والعلم طريق الانسان الى الخير البشرى يصبح اداة التحطيم لهذه البشرية يهددها بالموت المرعب كابشع ما شهده الانسان .. وما تزال تجربته « الصغيرة » فى هيروشيما ونجازاكى ماثلة فى الأذهان .. !!

ذلك لأنه لم يعد فريضة وانما مطية من مطايا الشهوات)

خاتمة

اذا كان لابد من كلمة عن العلم اخيرة فهى سرد سريع لعلاقة العلم بالعقيدة وبيان صادق بان الاسلام هو الشريعة الوحيدةالتى دعت الى العلم بمفهومه السليم الذى لا عوج فيه ولا انحراف

فقد جاء الاسلام ودعا الناس الى العلم . دعا الناس جميعا مسلمين وغير مسلمين دعا المسلمين الى العلم ليزدادوا ايمانا وليسيروا بالعالم فى طريق الحضارة المؤمنة والمدنية الهادية . ودعا غير المسلمين أيضا ليهتدوا الى الله فيؤمنوا به .

وقد راينا كيف سار العلم فى ظل العقيدة الصالحة حتى ارتفع بالبشرية الى آفاق سامية من الايمان والطمانينة .. ثم كيف انهار العلم وانحرف بالانسانية الى حافة الهاوية وسقط بها فى حماة الرذيلة عندما تخلى عن العقيدة .

والمسلمون اليوم اشد ما يكونون حاجة الى اعادة السلام الى القلب البشرى الذى تمزق فى لجة الصراع على مر الأيام .. صراع الدين والعلم .. وصراع المادة والعقيدة . والمسلمون اليوم هم اجدر الناس بانتشال الانسانية من بحور الشر والضلال فهم وحدهم بما يملكون من عقيدة فريدة يستطيعون احلال السلام والوئام محل اللدد والخصام فى قلب الانسانية التى يكاد ينزف آخر قطرة من قطرات الحياة .

ان المسلمين اليوم هم اولى الناس بتضميد جراح الانســانية بانقاذ العلم بدفعة من دفعات العقيدة حتى ينقذوا الانسانية مـن غدر الانسـان الحيوان ابن الانسانية العاق على يدابنها البار الانسان الانسان .

واخيرا فهى دعوة لخير المسلمين والبشرية جمعاء نرجـو ان تصل الى اعماق القلوب حتى تاتى بالثمار .

وبعد فقد تكون هذه الخاتمة بعيدة عن مســـتلزمات البحث العلمى ولكنى رايت ان اكتبها لان لله فى هذا المقام مقال واخشى الا اقول فيه والله الهادى من الضلال .